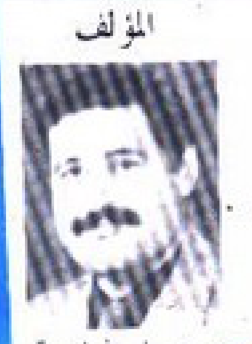


سلسلة روايات
ملف المستقبل
١٧
نبض الخلود
Looloo
www.ninjawy.com

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

١٧

● نبض الخلود ●

● هل يمكن أن يحظى بشر على وجه الأرض بالخلود ؟
● ما سر الأحداث المذهلة التى تحدث فى مركز الأبحاث الخلوى بالمنصورة ؟
● تُرى هل ينجح (نور) وفريقه فى كشف غموض لغز الرجل الذى يسعى إلى الخلود ؟
● اقرإ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حل اللغز .

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم (ظلال الفزع)



١ ــ جريمة العلماء ..

تسلّل رجل فى العقد الخامس من عمره بهدوء ، إلى داخل أحد المعامل الإليكترونية الحديثة التى يزخر بها (مركز الأبحاث الخلوية) ، وسار بين الآلات المعقّدة وشاشات الكمبيوتر المفكِّرة ، حتى وقف أخيرًا أمام الميكروسكوب الأيونى ، وأخرج من جيب معطفه بحرص بالغ شريحة زجاجية مستطيلة رفيعة ، دسها فى فراغ مستطيل على الجانب الأيمن من الميكروسكوب ، ثم ضغط بأصابع مرتجفة على زرٍّ أزرق صغير إلى يسار الجهاز ، واستكان على المقعد الإسفنجى المواجه لشاشته ، التى أضاءت بلون أزرق سماوىّ ، ثم ارتسمت عليها صورة مكبَّرة بمقدار ثلاثة آلاف مرة للخلايا التى يريد فحصها ...

ارتكن الرجل برأسه على راحته ، وتناول جهازا

صغيرًا من أجهزة التسجيل التى يبلغ حجمها حجم زرّ قميص صغير ، وقال دون أن يرفع رأسه عن الصورة الواضحة فوق الشاشة :

— من الواضح أن شكوكى كان لها ما يبرِّرها .. إن الخلايا تبدو حيوانية أو أقرب إلى الخلايا الحيوانية ، وبرغم ذلك يحيط بها غلاف سليولوزى ، كما يحدث للخلايا النباتية ، وطبيعة الإندوبلازم بداخلها تشير بشكل ما إلى قدرتها غير الطبيعيـــة على التحــوُّل ، وبمعنى أصح فهذه الخلايا قادرة على منح صاحبها ما يمكننا تسميته بالخلود .. وبهذا تكون شكوكى حول طبيعة الأبحاث التى يجريها سرًا الدكتور ....

وقبل أن ينطق بالاسم ، قاطعه صوت هادئ عميق يقول :

— من الأفضل الاكتفاء بهذا القدر يا دكتور (يوسف) .

تحرَّك الرجل بحدَّة تبيِّن مدى ذعره وخوفه من

محدِّثه ، وأدَّت حركته المفاجئة إلى ضغطه على عدة أزرار لم يدر طبيعة عملها بالضبط ، وشحب وجهه وهو يواجه محدِّثه الهادئ ، وخرج صوته مرتعدًا وهو يقول :

— إنه الفضول العلمى يا صديقى .. الفضول العلمى لا أكثر ، وأقسم لك أن أحفظ السرّ .

تحرَّك الرجل خطوة إلى الأمام ، وقال بصوته الهادئ البارد :

— وهل من ينوى حفظ السرّ ، يعمد إلى تسجيله بهذا الشكل ؟

قال الدكتور (يوسف) بصوت مرتجف :

— كان لا بد من الاحتفاظ بوثيقة علمية .. هذا طابع العلماء يا صديقى .

تحرَّك الرجل عدة خطوات أخرى ، وقال :

— معذرة يا دكتور (يوسف) ، ولكننى أخالفك فى هذا الرأى ، فأنا أفضل الاحتفاظ بهذا الأمر سرًا .

كان الرجل قد سار فى هذه اللحظة خلف إحدى

الشاشات ، التى تعمل بأشعة (إكس) ، التى أشعلها أحد الأزرار التى ضغط عليها الدكتور (يوسف) عفوا ، وتعلّق بصر الدكتور (يوسف) بالصورة التى ظهرت على الشاشة الزُمرُدية اللون ، وفغر فاه دهشة ، وجحظت عيناه رعبا ، وهو يحدّق فيها فى ذهول ، ولم يلبث أن تمتم فى ذعر واضح :

ــ يا إلهى !! هذه الصورة !؟.. إنك .. إنك .

تحرّك الرجل من خلف الشاشة ، وسار نحو الدكتور (يوسف) بهدوء مثير للرعب ، وهو يقول بصوته البارد :

ــ لقد علمت أكثر مما يمكننى أن أسمح لك بمعرفته يا دكتور (يوسف) .. إنك لم تترك لى الخيار .. لا بد لى من إزاحتك عن طريقى .

تراجع الدكتور (يوسف) فى ذعر ، ومدّ كفّه أمامه ، وكأنه يحاول منع الرجل من التقدم ، وأخذ يقول بصوت مرتعد خائف :



تراجع الدكتور (يوسف) فى ذعر ، ومد كفّه أمامه وكأنه يحاول منع الرجل من التقدم ..

ـ لا .. لا .. سأحتفظ بالسرّ .. أقسم لك .

واصل الرجل تقدمه بهدوء ، وهو يقول :

ـ آسف يا دكتور (يوسف) .. إنك لم تترك لى الخيار .

وأخفت جدران المعمل العازلة للصوت صرخة مكتومة ، انبعثت من حنجرة الدكتور (يوسف) ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة .

* * *

٢ ـ على ضفاف النيل ..

تثاءب الرائد (نور) فى تعب ، والتفت نحو زوجته (سلوى) ، التى انهمكت فى إرضاع صغيرتهما (نشوى) ، وقال مداعبًا :

ـ يبدو أننى لن أذوق طعم النوم ، ما دمنا قد أنجبنا هذه الطفلة ، التى لا يحلو لها الصراخ إلاّ بعد منتصف الليل .

ابتسمت (سلوى) ، وقالت :

ـ هذه هى ضريبة الأبوّة يا زوجى العزيز ، وتذكّر أنك قد فعلت الشىء نفسه بأبويك .

ضحك (نور) ، وقال وهو ينهض من فراشه :

ـ لا أظن أننى كنت مزعجا إلى هذه الدرجة .

أعادت (سلوى) الطفلة التى غلبها النوم إلى مهدها ، وقالت متظاهرة بالغضب :

ـ هل تعتبر طفلتنا مزعجة إلى هذه الدرجة ؟

قال مداعبا :

ـ إنها ليست أكثر إزعاجا من أمها على الأقل .

فقالت ضاحكة :

ـ لو أن أمها مزعجة إلى هذا الحدّ ، ما بذلت كل ما فعلته من أجل زواجها .

رفع (نور) حاجبيه ، وقال ضاحكا :

ـ عجبا !.. لا أذكر أننى فعلت شيئا .

همّت (سلوى) أن تقول شيئا ، لكن تحوّلت أضواء الغرفة فجأة إلى اللون الأخضر ثم الأزرق ، وأخذت تتأرجح بين اللونين ، فقفز (نور) بخطوات سريعة ، وغادر الغرفة متجها إلى مكتبه ، فابتسمت (سلوى) ، وقالت :

ـ لو أننى أنا التى أدعوه ، ما هبّ لملاقاتى بمثل هذه السرعة واللهفة .

* * *

أغلق (نور) غرفة مكتبه خلفه بإحكام ، وأسرع نحو مصباح أسطوانى صغير ، أخذ يضىء بلون برتقالى برّاق ...

ضغط (نور) على زرّ صغير مثبت أسفل المصباح ، وفى الحال تحوّل ضوء المصباح إلى لون ذهبى عجيب ، وأخذ يتحوّل فى تدرّج وسرعة إلى اللون الفضىّ ، وهنا انبعث منه شريط من الضوء اللامع ، سقط على دائرة معدنية مثبتة حديثا بجوار المكتب ، ثم انعكس فوق بقعة من أرض الغرفة ، وتكوّنت من نقطة سقوطه صورة هولوجرافية مجسّمة للقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، جالسا خلف مكتبه نصف المستدير ..

رفع (نور) يده بالتحية العسكرية ، وسمع صوت قائده يقول :

ـ مساء الخير أيها الرائد .. الواجب يناديك .

قال (نور) بهدوء :

ـ الرائد (نور) فى خدمة الوطن دائما يا سيّدى

قال القائد الأعلى بسرعة ، وكأنه لا يريد إضاعة أية لحظة :

— انظر إلى الصورة التى ستتكوّن أمامك أيها الرائد .. إنها صورة أعظم علماء علم الخلايا فى مصر الدكتور (يوسف حسين) .

راقب (نور) صورة الرجل الهادئ الوقور ، ذى الشعر الأشيب والمنظار الطبىّ السميك ، التى تكوّنت محل صورة القائد الأعلى ، واستمع إليه وهو يستطرد قائلا :

— منذ ما يقرب من ثلاث ساعات توفى الدكتور (يوسف حسين) بسكتة قلبية مفاجئة . داخل أحد معامل (مركز الأبحاث الخلويّة) ، التى تمت إقامته منذ خمس سنوات ، على ضفاف النيل فى (المنصورة) ..

اختفت صورة الدكتور (يوسف) ، وتكوّنت محلها صورة (مركز الأبحاث الخلويّة) ، على حين تابع القائد الأعلى قوله :

— لا أحد يعلم ما الذى كان يفعله الدكتور (يوسف) فى المعمل فى مثل هذا الوقت ، وخاصة أن ذلك خارج برنامج المعمل تماما . ولكننى أشك أن هذه الوفاة جنائية .

رفع (نور) حاجبيه دهشة ، وقال :

— ولماذا يا سيّدى ؟.. من الواضح أن هذا الرجل قد تجاوز الخمسين من عمره ، وربما دفعه حماسه العلمى إلى مواصلة أبحاثه بعد موعد العمل الرسمى ، وقد يكون استغرق فى عمله فترة طويلة . ممّا كان سببا فى إرهاقه . وهذا سبب طبيعى للسكتة القلبية .

تلاشت صورة المركز ، وعادت صورة القائد الأعلى تتكوّن وعلى وجهه علامات الشك ، وهو يقول :

— كان يمكن لهذا الحادث أن يمرّ بنفس الاستنتاج التى توقعته أنت أيها الرائد ، لولا رسالة تلقّيتها صباح اليوم فقط ، مع شريحة زجاجية أرسلهما الدكتور (يوسف) عن طريق الأنابيب البريدية العاجلة .

ظهر الاهتمام على وجه (نور) عند هذه النقطة ، وهو يستمع إلى قائده ، الذى أردف قائلا :

ــ سأجعلك تستمع إلى الرسالة الصوتية أولا . ثم أعرض عليك الشريحة .

تردد فى غرفة المكتب صوت الدكتور (يوسف) ، الذى عبر عن مدى ارتباكه وقلقه ، وهو يقول :

ــ معذرة يا سيدى القائد الأعلى للمخابرات العلمية .. إننى أتجرأ على إرسال هذه الرسالة الصوتية ، برغم التعليمات التى تحظر ذلك إلا للضرورة القصوى ، ومن خلال القنوات الرسمية .. ولكننى أرى أن الكشف الذى وقعت عليه صدفة ، يدخل تحت باب الضرورة القصوى .. لقد كشفت بمحض الصدفة أن أحد العلماء العاملين بالمركز يجرى أبحاثا سرية حول الخلايا البشرية .. أبحاثا قد تقود إلى تحقيق حلم البشرية الأول منذ الأزل .. ألا وهو الخلود .

عند هذه الكلمة اتسعت عينا (نور) دهشة ،

وتوترت أطرافه ، وأرهف سمعه باهتمام زائد لصوت الدكتور (يوسف) ، وهو يتابع قائلاً :

ــ إن فكرة الخلود تبدو عظيمة للوهلة الأولى ، فكل إنسان يتمنَّى لو أمكنه أن يحيا لآلاف السنين ، فيتابع التطوُّر العلمى والتغيُّرات التاريخية .. تصوَّر كَمّ المعلومات العلمية التى يمكن لإنسان معرفتها لو عاش آلاف السنين ، ولكن للخلود شقًا آخر .. إنه شقٌّ مخيف لا يخطر على بال الإنسان فى غمرة أنانيته ورغبته فى التفوُّق .

صمت الدكتور (يوسف) لحظة يلتقط فيها أنفاسه ، ثم عاد يقول :

ــ إن قانون الطبيعة الذى أبدعه الخالق (عز وجل) ، يحتّم حدوث حالات الوفاة ، لمقابلة الزيادة التى تصنعها المواليد ، وإلا أتت فترة تضيق فيها الأرض بمن عليها ، وأصبح حتمًا اللجوء إلى القتل لإعادة هذا التوازن الطبيعى .. ومن هنا كانت حكمة الخالق ، فى

ألا يحصل أبناء الكوكب على الخلود ، ولكن تجارب هذا الزميل ستؤدى إلى إخلال هذا التوازن بشكل يهدِّد كوكبنا بأكمله ..

عاد صوت الدكتور (يوسف) يتوقَّف لحظة ، ارتفعت خلالها شدة لهفة (نور) ، إلى أن عاد يقول :

ــ وعند متابعتى لأبحاث هذا الزميل ، وقعت على ما ملأ قلبى بالرُّعب والفزع .. معذرة لكتمانى ما أملك من معلومات .. ربما لكى أدفع سيادتكم لمقابلتى شخصيًا ، وبحث هذا الأمر بالشكل الذى أرغبه ، ولقد أرسلت شريحة زجاجية ، قد تلقى بعض الضوء على ما توصَّلت إليه .. وأنا بانتظار ردّ سيادتكم .

انتهت هنا رسالة الدكتور (يوسف) الصوتية ، بعد أن ملئت نفس (نور) بآلاف التساؤلات ، وعاد صوت القائد الأعلى يقول :

ــ ما رأيك فيما سمعت أيها الرائد ؟

مرت لحظة صمت ، استجمع فيها (نور) أفكاره ، ثم قال :

ــ إننى أتفق تمامًا مع الدكتور (يوسف) رحمه الله ، فى رفضه لفكرة الخلود برغم غرابتها من أساسها ، حتى أننى أجد صعوبة فى تصديقها .

أومأ القائد الأعلى برأسه موافقًا ، وقال :

ــ كان هذا شعورى أيضًا فى البداية ، حتى شاهدت ما وضعه الدكتور (يوسف) على الشريحة الزجاجية ، وسأسمح لك برؤيته من خلال جهاز الإرسال الهولوجرافى .

تلاشت صورة القائد الأعلى بهدوء ، وحلّ محلها صورة لخليَّة عجيبة ، تأملها (نور) فى دهشة ، وسمع صوت قائده يقول :

ــ لو أنك ما زلت محتفظًا بمعلوماتك القديمة عن الخلايا الحيَّة ؛ لأمكنك ملاحظة وجه الغرابة فى هذه الخليَّة أيها الرائد .

قال (نور) بدهشة :

ــ إنها أعجب خليَّة وقعت عليها عيناى يا سيِّدى ،

فهى تجمع بين صفات الخليَّة الحيوانية والنباتية ، بشكل لا يمكن حدوثه فى الطبيعة .

قال القائد الأعلى :

ـ إنه تعليق مختصر أيها الرائد ، ولكننى سأرسل لك تقريرًا كاملاً قبل أن تنطلق فى مهمتك مع فريقك .. لقد كان (مركز الأبحاث الخلوى) يضم خمسة علماء ، ولقد بقى منهم أربعة علماء بعد مصرع الدكتور (يوسف) ، وأريد منك أن تتوصَّل إلى الجانى ، وتوقف تلك الأبحاث العجيبة بأقصى سرعة ممكنة ، وبأقصى قدر من السريَّة .

رفع (نور) رأسه بالتحية العسكرية ، وقال :

ـ سأحاول بقدر استطاعتى يا سيِّدى .

بدأت صورة القائد الأعلى فى التلاشى ، وهو يقول :

ـ وفقك الله أنت وفريقك أيها الرائد .

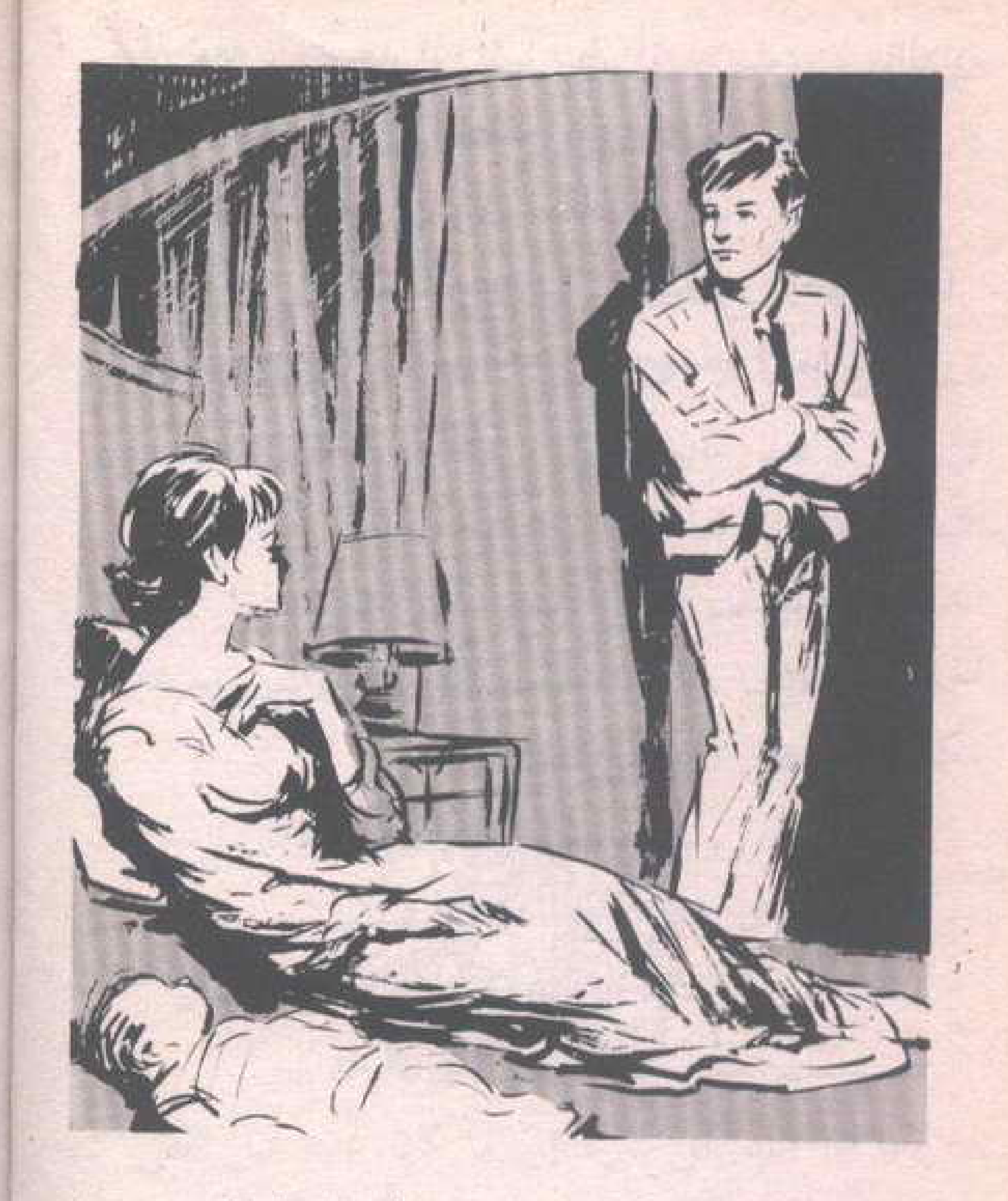
وما أن عاد كل شىء إلى ما كان عليه قبل تلقى الرسالة ، حتى غادر (نور) غرفة مكتبه ، وعاد إلى

غرفة نومه ، واستند إلى بابها ينظر إلى (سلوى) ، التى جلست فوق الفراش تتطلَّع إليه بفضول ، ولمَّا طال صمته هبطت هى بهدوء ، وقالت :

ـ لقد فهمت .. سأتصل بوالدتى ، وأطلب منها رعاية (نشوى) ، حتى نعود من مهمتنا الجديدة .

* * *





وعاد إلى غرفة نومه ، واستند إلى بابها ينظر إلى (سلوى) ، التى جلست فوق الفراش تتطلع إليه ..

٣ ــ التحقيق ..

ــ ما رأيك فيما أخبرتك به يا (رمزى) ؟

قال (نور) هذه العبارة ، وهو ينطلق بسيارته الصاروخية فى الطريق إلى (المنصورة) ، وبجواره جلست (سلوى) ، وقد أغلقت عينيها بشكل يوحى بأنها نائمة ، وإن كانت أذناها منصتتين باهتمام لكل كلمة يتبادلها (نور) مع (رمزى) و (محمود) ، اللذين جلسا فى المقعد الخلفى ، وقال الأول مجيبا :

ــ الأمر يبدو عجيبا أيها القائد ، فلكل من الخلايا الحيوانية والنباتية صفاتها المستقلة ، ومن الصعب على عقلى استيعاب احتمال اندماج الصفتين .

سأله (نور) بهدوء واقتضاب :

ــ ولماذا ؟

هزّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

— الأمر يرجع إلى طبيعة كل منهما ، فالخلايا الحيوانية تحصل على غذائها عن طريق تبادل كيميائى مع الدم ، فتأخذ منه ما يحويه من مواد غذائية ، وتعطيه نواتج إخراجها وسمومها ، ويتم ذلك عن طريق الأوعية الدموية الدقيقة ، أما بالنسبة للخليّة النباتية فهى تحتوى على مادة الكلوروفيل أو اليخضور ، وهى مادة تقوم بما يسمَّى بالتمثيل الضوئى ، فتحصل على غذائها عن طريق عمليات كيميائية مختلفة ، يحفزها سقوط الضوء على الخليّة .

سأله (نور) باهتمام :

— ألا يمكن جمعهما بأى حال من الأحوال ؟

عاد (رمزى) يهزّ كتفيه ويمطّ شفتيه ، ثم قال :

— فى الواقع لقد تقدمت علوم هندسة الوراثة تقدُّمًا مذهلاً ، منذ بداية القرن الحادى والعشرين ، ولكن علماء هذا الفرع لم ينجحوا إلاّ فى تزاوج كائنات من فصائل متشابهة تقريبًا ، كالثدييّات والبرمائيّات ،

ولكننا لم نر حتى الآن تزاوجًا بين كائن من فصيلة الثدييّات وآخر من فصيلة الحشرات مثلاً ، ولا أظن ذلك ممكنًا ، فما بالك بالثدييّات والنباتات ؟

تدخّل (محمود) فى الحديث قائلاً :

— قد تكون معلوماتى فى هذا المجال قاصرة ، ولكننى أظن أن ذلك ممكنًا بواسطة بعض أنواع الأشعة .

ابتسم (رمزى) ابتسامة مشفقة ، على حين قال (نور) :

— يمكنك أن تشرح نظريتك يا (محمود) .. كلّى آذان صاغية .

تنحنح (محمود) ، واعتدل فى مقعده كما يفعل العلماء فى المقابلات التليفزيونية المجسَّمة ، وقال :

— منذ بدء البحث فى مجالات هندسة الوراثة ، لجأ العلماء إلى استخدام بعض أنواع الأشعَّة ، فى محاولة لتغيير التركيب الجينى ، مما يسمح باستنباط أنواع غير معروفة من الخلايا .

قاطعه (رمزى) قائلاً :

ــ اسمح لى يا صديقى .. لقد وجدوا أن هذا الأسلوب غير ناجح ؛ لأنه يعطى نتائج عشوائية غير مدروسة .

ابتسم (محمود) بثقة ، وقال :

ــ خطأ يا صديقى .. ليس من السهل أن يعلن العلماء فشلهم بهذه البساطة .. لقد عزوا هذه العشوائية إلى عدم التحكُّم فى جرعات الأشعة ، وهنا بدءُوا تنظيم ذلك الأمر .

قال (نور) بهدوء :

ــ باختصار .. هل يمكن صنع مثل هذه الخليّة النباتحوانيَّة بصورة صناعية ؟

صمت (محمود) وتبادل النظرات مع (رمزى) ، ثم قال هذا الأخير :

ــ حتى الآن مستحيل أيها القائد .

قال (نور) وهو يضغط على (فرامل) سيارته استعدادًا لدخول (المنصورة) :

ــ حسنًا .. سنبدأ إذن تحرّياتنا فى (مركز الأبحاث الخلوى) من الصفر .

* * *

كان الدكتور (شفيق) هو أول من استقبلهم فى المركز ، وهو رجل طويل القامة ، فى حدود الأربعين من عمره ، نحيل الوجه ، مدبَّب الأنف والذقن ، يرتدى منظارًا طبيًا ، وله شارب كثّ ، ورأس زحف إليه الشيب والصلع معًا .. صافحهم بحرارة ، وقال موجّهًا حديثه إلى (نور) :

ــ لقد طلبت منّا المخابرات العلمية استقبالكم فى المركز ، والعمل على تسهيل مهمتكم ، وليس علينا سوى إطاعة الأوامر ، وإن كنت أظن أن الأمر برمّته مبالغ فيه .

قال (نور) ، وهو يفحص الممرّ الذى يسيرون فيه بنظرة فاحصة خبيرة :

ــ وما وجه المبالغة فى ذلك ؟

هزَّ الدكتور (شفيق) كتفيه ، وقال :

ـــ إن وفاة رجل فى سن الدكتور (يوسف) ، مصاب منذ ثلاث سنوات بضيق فى الشرايين التاجية ، يبدو طبيعيا من وجهة نظرنا جميعًا ، ولا يستحق أن تقوم المخابرات العلمية بنفسها بالتحقيق فيه .

قال (نور) بهدوء :

ـــ إنه مجرد تحقيق روتينى يا دكتور (شفيق) .

جاءهم صوت ساخر من أحد حجرات الممر الجانبية يقول :

ـــ وهل يستدعى تحقيق روتينى إرسال فريق مخابرات كامل ؟

التفت الجميع إلى مصدر الصوت .. كان لرجل بين الثلاثين والأربعين من عمره ، متوسط الطول ، أسود الشعر ، مستطيل الوجه ، له أنف طويل ، وفم مُنَمْنَم ، وذقــن عريضة تشير إلى صلابتــه ، حليــق اللّحيــة والشارب .. ابتسم (نور) ، واقترب من الرجل مادًا يده بغرض مصافحته ، وقال :

ـــ أنت الدكتور (جمال) ، أليس كذلك ؟.. إننى أذكر صورتك .

تجاهل الدكتور (جمال) يد (نور) الممدودة بطريقة تخلو من الذَوق ، وقال وهو يتأمَل أفراد الفريق ببرود :

ـــ فريق من الأطفال !!.. أراهن أن كلاً منكم لم تتجاوز سنه الثلاثين .

وقبل أن يسمع جوابا من أحدهم ، استدار إلى داخل معمله ، وأغلق الباب خلفه ، فتبادل أعضاء الفريق النظرات ، وتمتمت (سلوى) :

ـــ يا له من سخيف !!

قال الدكتور (شفيق) فى حرج :

ـــ إنه يختلف عن ذلك عندما يألفكم .. كل ما فى الأمر أنه يظن أنكم ستعيقون عمله .

سأله (نور) محاولاً تغيير مجرى الحديث :

ـــ من يرأس المركز فى الوقت الحالى ، بعد وفاة الدكتور (يوسف) ؟

قال الدكتور (شفيق) ، وهو يفتح باب غرفته ويدعوهم للدخول :

ـ لقد حصلت على ذلك المنصب الذى لم أودّ الحصول عليه لهذا السبب ، وذلك يعود إلى أننى أكبر الجميع سنًا ، ويلينى الدكتور (جمال) .

سأله (محمود) :

ـ كم يبلغ عمر العالمين الآخرين إذن ؟

قال الدكتور (شفيق) ، وهو يجلس على مقعده خلف مكتب نصف دائرى :

ـ الدكتور (فريد) فى الثالثة والثلاثين ، والدكتور (عزمى) فى أوائل الثلاثينات .

سأله (نور) :

ـ من منهم يعمل منفردًا يا دكتور (شفيق) ؟

ابتسم الدكتور (شفيق) ابتسامة الرجل الذى يعرف كل شىء ، وقال بهدوء :

ـ كل عالم هنا يعمل فى معمل منفصل ، مجهز بكل

الأدوات والأجهزة تقريبًا .. باستثناء تلك التى يبلغ ثمنها ملايين الجنيهات ، فتجدها مجتمعة فى غرفة واحدة ، نسمّيها بالمعمل المشترك .

سألته (سلوى) :

ـ وهل يمكن لأى منكم القيام بتجارب سرّيّة ، لا تدخل ضمن برنامج العمل فى المركز ، دون أن يتنبّه الآخرون لذلك ؟

التفت إليها (نور) بحدّة ، وعيناه تحملان نظرة تأنيب على تسرُّعها فى إلقاء هذا السؤال ، مما دفع بدماء الخجل إلى وجنتيها ، على حين قلّب الدكتور (شفيق) نظره بينهما لحظة ، ثم قال بصوت يحمل رنّة الشك والتساؤل :

ـ ما مهمتكم هنا بالضبط أيها السادة ؟.. هل يحدث هنا شىء ما دون علمى ؟

قال (نور) :

ـ من الأفضل أن يتم تعارفنا مع العالمين الباقين

أولاً ، ثم سنجتمع جميعًا ونكشف كل الأوراق يا دكتور (شفيق) .

نظر الدكتور (شفيق) إلى أفراد الفريق بحذر وريبة ، ثم قال بهدوء :

ــ نعم .. أعتقد أنه من الأفضل ذلك أيها الشاب .

* * *

قال (نور) لـ (سلوى) ، وهما يسيران فى ممر المعامل بالمركز :

ــ لقد تسرّعت بهذا السؤال ، حتى أنك تضطريننى إلى تغيير خطة العمل التى وضعتها تمامًا .. لقد كنت أعتمد على مفاجأتهم بموضوع التجارب السريّة ، عندما يظن الجميع أننا هنا من أجل التحقيق فى حادث وفاة الدكتور (يوسف) فقط .. أما الآن فسيعلمون جميعًا ما نسعى خلفه ، وربما يعرّضنا ذلك إلى بعض الخطر .

شعرت (سلوى) بالخجل ، حتى أنها لم تجرؤ على التفوّه بكلمة ، وتوقّف (نور) أمام غرفة ثبتت فوق بابها بطاقة باسم الدكتور (فريد) ، فقرع بابها بهدوء ، وما أن أتاه صوت من داخلها حتى دفع الباب ودخل تتبعه (سلوى) ..

كان من الواضح أن مرآهما قد أصاب الدكتور (فريد) بالدهشة ، إذ توقّف عن مواصلة عمله ، ورفع رأسه يحدّق فيهما بنظرات عجيبة .. كان يبدو أنيقا فى معطفه الأبيض ، بوجهه المستدير ، وملامحه المنمنمة ، وشاربه الرفيع ، ومنظاره الطبى السميك ، وفمه الصغير غليظ الشفتين .. بادره (نور) بالحديث قائلا :

ــ الدكتور (فريد) على حسب ما أظن .. تسعدنى مقابلتك .

صافحه الدكتور (فريد) بتردُّد ، وقال :

ــ أعتقد أنك الشرطى الذى حضر من القاهرة .



كان من الواضح أن مرآهما قد أصاب الدكتور (فريد) بالدهشة ، إذا توقف عن مواصلة عمله ..

للتحقيق فى موضوع وفاة الدكتور (يوسف) .

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـــ هذا صحيح .. وهو أمر روتينى كما تعلم .

سرت ابتسامة متردِّدة على شفتى الدكتور (فريد) ، وهو يقول :

ـــ أمر روتينى ؟.. نعم .. ربما .

تحرَّكت (سلوى) بفضول تتأمل بعض آلات المعمل ، ثم قالت :

ـــ هل تجرى أبحاثك حول الخلايا الحيَّة يا دكتور (فريد) ؟

تنبَّه الدكتور (فريد) إلى وجودها للمرة الأولى ، فتمتم بعبارة اعتذار بسبب عدم ترحيبه بها منذ البداية ، وقال بصوت هادئ :

ـــ كلنا نجرى أبحاثنا حول الخلايا الحيَّة يا سيِّدتى ، فهذا المركز تم إنشاؤه خصيصًا لذلك .

وفى تلك اللحظة اندفع رجل طويل ، ممشوق

القوام . وسيم الملامح إلى الغرفة ، وهو يقول بحماس :

— لقد توصّلت إلى ما كنا نبحث عنه يا (فريد) .. لقد ....

ثم بتر عبارته فجأة ، عندما وقع بصره على (نور) و (سلوى) ، وتراجع خطوة بحدّة إلى الخلف ، وقال بضيق :

— ماذا يفعلان هنا ؟.. لقد كنت أظنّه معملاً خاصًا !؟

ألقى (نور) نظرة فاحصة سريعة على الرجل الوسيم ، صاحب الملامح المنتظمة ، والحليق اللّحية والشارب ، وتأمّل شعره الأسود الناعم ، الكثيف المصفّف بعناية شديدة ، تخالف ما اعتاده العلماء ، ثم اقترب منه وقال بهدوء :

— أنا أيضًا كنت أظنه معملاً خاصًا ، إلى درجة تجبر أى إنسان على طرق بابه قبل اقتحامه بهذه الدرجة .. أنت الدكتور (عزمى) على ما أعتقد .

تأمّل الدكتور (عزمى) (نور) و (سلوى) مدة تقل عن نصف دقيقة ، ثم افترّ ثغره عن ابتسامة غامضة عجز (نور) عن تفسيرها ، وهو يقول ببرود :

— إنه أنا بالتأكيد .

شعر (نور) بالاستياء من هذا الأسلوب البارد ، فقرر أن يلقّن هذا الرجل درسًا ، وما كان منه إلا أن أخرج بطاقته المهنية ، ووضعها بشكل استفزازى أمام وجه الدكتور (عزمى) ، وقال بلهجة أشدّ برودًا :

— لعلك تعرف القراءة يا سيّدى .. حسنًا .. أعتقد أنه من الأفضل أن تشرح لى بالتفصيل طبيعة ذلك الشيء الذى توصّلت إليه ، والذى كنتما تبحثان عنه .. وبسرعة .. فليس لدىّ وقت كافٍ .

* * *

٤ ـــ الحادث الغامض ..

كان أسلوب حديث (نور) استفزازيًا إلى درجة تجعل من الطبيعى أن يثور الدكتور (عزمى) أو ينفجر فى وجهه ، حتى أن (سلوى) تعجّبت من لجوء (نور) إلى مثل هذا الأسلوب الخالى من اللياقة ، ولكن عجبها تزايد عندما تراقصت ابتسامة على شفتى الدكتور (عزمى) .. ابتسامة ساخرة ، لم تلبث أن اتسعت وملأت وجهه حتى تحوّلت إلى ضحكة عالية أطلقها ، ثم التفت نحو زميله الدكتور (فريد) ، وقال :

ـــ تجربة طريفة تستحق المتابعة .. انظر .. ضابط شرطة شاب لا يتجاوز الثلاثين من عمره ، يجد نفسه فجأة مسئولاً عن التحقيق فى وفاة عالم كبير ، لم يحلم يومًا حتى بمصافحته ، فتنتفخ أوداجه ، ويتملكه الغرور والشعور بالعظمة ، ويبدأ فى التعالى على باقى العلماء .. إنها طريقة طريفة بالفعل .



احتقن وجه (نور) ، وتضرَّجت وجنتاه بحمرة الغيظ والخجل ، وبذل مجهودًا ضخمًا للسيطرة على أعصابه ، وهو يكرِّر سؤاله قائلاً :

ـ سأتجاوز عن هذه الإهانة يا دكتور (عزمى) ، ولكننى سأعود فأسألك عمَّا توصَّلت إليه .

عقد الدكتور (عزمى) ساعديه أمام صدره ، وقال بتحدٍّ :

ـ إنها أسرار علميَّة ، غير مسموح حتى لرجال الشرطة بمعرفتها .

قال (نور) بتحدٍّ مماثل :

ـ هذا ينطبق على رجال الشرطة العاديين يا دكتور (عزمى) ، ولكننى من المكتب الخاص بالمخابرات العلمية .

حرَّك (عزمى) رأسه بسخرية ، وقال :

ـ حتى هذا لا يعطيك الحق فى ....

قاطعه الدكتور (فريد) بضجر قائلا :

ـ سأخبرك أنا أيها الرائد .. لقد كنا أنا والدكتور (عزمى) نجرى تجارب مشتركة ، حول أثر الأشعة السينية ، فى الغلاف السليولوزى للخليَّة النباتية ، وكنا نبحث عن الجرعة المناسبة من الأشعة الكافية ، لعبور هذا الغلاف ، والتأثير فى مادة اليخضور داخل الخليَّة ، دون أن ندمِّر محتويات الخليَّة الأخرى .. وهذا ما توصَّل إليه الدكتور (عزمى)،أو ماأعتقد أنه قد توصَّل إليه .

مطَّ الدكتور (عزمى) شفتيه ، وقال ببرود :

ـ هذا صحيح أيها الرائد .

صمت (نور) وهو يتأمَّلهما ، ثم قال :

ـ وهل من الطبيعى أن تجرى أبحاث مشتركة هنا ؟

هزَّ الدكتور (فريد) كتفيه ، وقال :

ـ وماذا يمنع ؟ لو أن أبحاث كل منَّا صالحة لإفادة الآخر ، فلم لا ؟

عاد (نور) يتأملهما ، بنظرات غامضة ، وقال بصوت خافت :

ــ نعم .. ولم لا ؟

★ ★ ★

استرخى (نور) على مقعد وثير ، من ذلك النوع الذى يؤمِّن راحة الجالس بواسطة وسادة هوائية ناعمة ، وعقد أصابع كفَّيه أمام وجهه وهو يواجه أفراد فريقه ، قائلاً :

ــ وما أن علمت بطبيعة أبحاثهما ، حتى قفزت تلك الكلمات التى سمعتها من (محمود) فى أثناء قدومنا بالسيارة إلى ذهنى ، وتساءلت : لم لا يكون هناك عالمان لا عالم واحد ؟

قال (رمزى) :

ــ ولكن رسالة الدكتور (يوسف) الصوتية تؤكد أنه عالم واحد .

قال (نور) بتساؤل :

ــ وماذا يمنع أن يكون مخطئًا ؟

هزَّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ أخالفك فى هذا الرأى أيها القائد .. معذرة ، ولكن دراستى للتقارير النفسية المرفقة بسجلات الدكتور (يوسف) رحمه الله ، تؤكد أنه عالم من رأسه حتى أخمص قدميه ، بمعنى أنه لا ينطق إلا بما هو واثق منه تمامًا ، وما دام قد قال : إنه عالم واحد ، فهو عالم واحد .

تلفَّتت (سلوى) حولها ، وقالت :

ــ أليس من الخطأ أن تتحدَّث بهذه الصراحة ؟.. ألا يُخشى أن يستمع أحدهم إلى حديثنا ، ولو من باب المصادفة ؟

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ مطلقًا يا عزيزتى .. لقد سمح لنا الدكتور (شفيق) باستخدام أكثر حجرات المركز أمنًا ، فجدرانها عازلة للصوت ، ولا يوجد بها حتى جهاز تليڤيديو ، يضع احتمالاً لانتقال حديثنا ولو بطريق المصادفة .

ثم ابتسم وهو يستطرد بهدوء :

ــ سؤالك للدكتور (شفيق) عن التجارب السرِّيَّة ، هو الذى كشف طبيعة مهمتنا يا زوجتى العزيزة ، ولا أستبعد أن يعلم بذلك العلماء الأربعة ، قبل مرور ساعة واحدة .

تضرَّج وجه (سلوى) بحمرة الخجل ، فأسرع (محمود) يقول :

ــ وما الخطة التى تنوى اتباعها ، بناء على هذه الظروف أيها القائد ؟

نهض (نور) من مقعده ، وقال :

ــ ما دمت أنت أكثرنا علما بتكنولوجيا الأشعة ، فسألقى على عاتقك مهمة متابعة ومعرفة طبيعة الأبحاث ، التى يجريها الدكتور (فريد) والدكتور (عزمى) ، وسيعاونك (رمزى) فى ذلك بصفته الطبيب الوحيد فى الفريق ، وأكثرنا دراسة لعلم الخلايا الحيَّة ، وسأتولَّى أنا و (سلوى) أمر الدكتور

(شفيق) ، والآخر المتعجرف الدكتور (جمال) .

تحرَّك (محمود) فى الحال نحو باب الغرفة ، وأشار إلى (رمزى) أن يتبعه ، وهو يقول :

ــ من الأفضل إذن أن نبدأ من هذه اللحظة ، توفيرًا للوقت .

قال (نور) وهو يعاون زوجته على النهوض :

ــ هذا صحيح .. سنبدأ عملنا فى الحال ، ونلتقى هنا مرة ثانية بعد غروب الشمس ؛ لنتبادل ما توصَّلنا إليه .

ضغط (محمود) على الزِّرِّ الذى يقوم بفتح رتاج الباب الإليكترونى ، ثم زوى حاجبيه وبدا القلق على ملامحه ، وهو يعاود ضغطه بعنف ، ولم يلبث أن قال فى حيرة :

ــ يا إلهى !! لقد حدث شىء ما يا رفاق .

أسرع (نور) نحو الباب ، وحاول ضغط الزِّرِّ عدة مرات متتابعة ، ثم قال بقلق :

— عجبا .. إن احتمال إصابة ذلك النوع من الأبواب بالعطل ، لا تتعدَّى واحدا فى كل مائة ألف .

صدرت صرخة خافتة من فم (سلوى) ، فاستدار إليها الجميع بحدَّة ، وتعلَّقت أبصارهم بالنقطة التى أشارت إليها سبَّابتها ، وفغر (رمزى) فاه دهشة ، على حين جحظت عينا (محمود) برعب ، أما (نور) فقد تمتم بحنق :

— اللعنة !! لقد بدأ الصراع .

فمن خلال الفتحة المستطيلة الصغيرة ، التى تؤمِّن تجديد الهواء فى الغرفة ، تسرَّب غاز ثقيل وردى اللون ، إلى داخل الغرفة محكمة الإغلاق .. غاز من ذلك النوع المعروف بـ (غاز الموت) .

* * *

٥ — الموت الزاحف ..

تدفَّق شلاَّل الغاز الوردى القاتل ببطء وهدوء ، من الفتحة الصغيرة إلى أرض الغرفة بحكم ثقله ، وتملَّك الذعر أفراد الفريق فهتف (رمزى) :

— يا إلهى !! لو غمرنا هذا الغاز فسنلقى حتفنا كالحشرات

تصلَّبت الكلمات فى حلق (سلوى) من شدة الذعر ، وعاد (محمود) يضغط بعصبية وعنف على زرّ الرتاج الإليكترونى ، أما (نور) فتحرّك بسرعة قائلا :

— لقد اختار القاتل غازا ثقيلا ، سيستغرق وقتا طويلاً قبل أن يملأ الغرفة ، وربما ساعدنا هذا الخطأ على النجاة .

صاحت (سلوى) ، بصوت عبَّر عن الفزع الذى يعتمل فى نفسها :

ـــ أيَّة نجاة ؟.. إن جدران الغرفة عازلة للصوت ، وبابها مغلق ، ولا يوجد بها حتى جهاز تليڤيديو يمكننا من الاستنجاد بأحد لإنقاذنا .. كيف ننجو من هذا الفخ ؟

أخرج (نور) مسدسه الليزرى ، وهو يقول بصرامة :

ـــ ننجو بألا نستسلم للفزع ، وبأن نسمح لعقولنا بالتفكير المنتظم الهادئ .

سأله (رمزى) بقلق :

ـــ هل لديك فكرة معينة أيها القائد ؟

أسرع (نور) الخُطا نحو الباب ، وأزاح (محمود) بعيدًا ، وهو يقول :

ـــ بل اثنتين يا (رمزى) .. سأحاول أبسطهما وأسرعهما أولًا .

وأعقب قوله بأن أطلق أشعة مسدسه على الرَّتاج الإليكترونى ، ولكنها انعكست بقوة ، مضيئة الغرفة بلون

أزرق هادئ ، دون أن يبدو على الرَّتاج أى أثر للمحاولة ، فعاود (نور) إطلاق دفقات أشعته أكثر من مرة ، دونما فائدة ، ولم يلبث أن أعاد مسدسه إلى سترته ، وهو يقول بسخرية بدت عجيبة فى مثل هذا الموقف :

ـــ إنها المرة الأولى التى يؤسفنى فيها أنهم زوَّدوا الغرفة بهذا الرَّتاج القوى ، المقاوم للأشعة .

ثم ألقى نظرة بين قدميه على الغاز الوردى ، الذى ملأ أرضية الغرفة ، وهو مستمر فى زحفه القاتل ، وقال :

ـــ لم يعد أمامنا سوى إجراء المحاولة الثانية يا رفاق .

وبسرعة أخرج منديله ، وغطَّى به أنفه ، وعقده خلف رأسه وهو يقول :

ـــ فليحذ كل منكم حذوى يا رفاق.. هيَّا يا (محمود) تخلَّ عن هذا الفزع ، وعاونى فى نقل ذلك المقعد الضخم أسفل فتحة تجديد الهواء .



وبعد عدّة محاولات نجح فى إيقاف تدفع الغاز تمامًا ..

أسرع (محمود) يعاونه ، وقد غطّى وجهه هو الآخر بمنديل سميك ، وما أن أصبح المقعد أسفل الفتحة ، حتى كان الغاز قد وصل إلى منتصف سيقانهم تقريبًا ، فقفز (نور) معتليا المقعد ، وخلع سترته بعد أن انتزع منها المسدس الليزرى ، وأخذ يحشوها بعنف داخل الفتحة المستطيلة ، متجنبًا بقدر الإمكان الغاز المتسرِّب من جوانبها .. وبعد عدّة محاولات نجح فى إيقاف تدفُّع الغاز تمامًا ، فقفز من فوق المقعد ، وقال :

ــ هذا يمنحنا مهلة من الوقت للخروج من هذا المأزق .. ولكننى أنصحكم بعدم محاولة الجلوس أو السقوط ، وإلا فلن ينهض من يسقط منكم .

تبادل أفراد الفريق النظرات ، وشعروا بالخجل لذلك الرُّعب الذى شلّ تفكيرهم ، ومنعهم من اتخاذ أية خطوة إيجابية إلى جوار (نور) ، الذى قال بهدوء :

ــ ينبغى أولا أن نحرص على التحرُّك بمنتهى الهدوء ، حتى لا نثير تلك السحابة الثقيلة الساكنة من الغاز ،

وإلا ارتفع إلى أنوفنا وكانت النهاية .

كانت (سلوى) أول من تحدَّث ، فقالت :

— حسنًا يا (نور) سنحاول جميعًا التفكير بهدوء مثلك .. ماذا تقترح علينا أن نفعل ؟

صمت (نور) وأخذ يفكِّر بعمق ، ثم رفع رأسه نحو (محمود) ، وسأله باهتمام :

— أخبرنى يا (محمود) .. هل تعتقد أن أشعة الليزر التى يطلقها مسدسى ، قادرة على اختراق جدران هذه الغرفة :

— نظر إليه (محمود) بدهشة ، ثم تهلَّلت أساريره عندما فهم فكرة (نور) ، وقال :

— نعم هذا ممكن بالطبع ، ولكنه سيحدث ثقبًا صغيرًا ، لن يسمح بمرور الصوت أو الغاز ، ولكن مع بعض الوقت يمكن إحداث فجوة متوسطة الحجم .

قال (رمزى) بدهشة لا تقل عن دهشة (سلوى) :

— هل تنوى أن تعبر الحائط ، من خلال فتحة تحدثها بمسدسك أيها القائد ؟

ابتسم (نور) ابتسامة أخفاها المنديل الذى وضعه على وجهه ، وقال :

— ليس بالضبط يا عزيزى (رمزى) .. إننى فى الواقع أنوى مغادرة الغرفة من خلال بابها الرئيسى .

* * *

دخل الدكتور (جمال) إلى غرفة الدكتور (شفيق) وجلس على المقعد المقابل لمكتبه قبل أن يدعوه للجلوس ، وقال بلهجته الساخرة :

— كيف حال مديرنا الهمام اليوم ؟

لم تخف تلك اللهجة الساخرة على الدكتور (شفيق) ، الذى خلع منظاره الطبى ، وحدَّق فى وجه الدكتور (جمال) ببرود ، ثم قال بجفاء :

— ماذا تريد يا دكتور (جمال) ؟

قال الدكتور (جمال) بتهكم :

ــ ألا تصلح مقابلة السيد مدير المركز بدون مطالب ؟

تنهَد الدكتور (شفيق) بضيق ، وقال :

ــ هل حضرت إلى هنا للتهكُم فقط يا دكتور (جمال) ؟

نهض الدكتور (جمال) ، وقال ببرود :

ــ لا .. ليس فقط .. لقد أردت أن أسألك : كيف سمحت لفريق من رجال الشرطة أن يقتحم معاملنا وأعمالنا فى المركز ؟

قال الدكتور (شفيق) ببرود أشد ، وهو يعاود وضع منظاره فوق أنفه :

ــ لقد حضر هذا الفريق ، بناء على أمر من القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وهو كما تعلم أعلى سلطة علمية فى مصر .

صاح الدكتور (جمال) بحنق :

ــ خطأ .. لا ينبغى أن تكون هناك سلطة على رأس

العلماء .. العالم الحق يحتاج إلى الحرِّية حتى يمكنه الإبداع .

تنهَد الدكتور (شفيق) بضجر ، وقال :

ــ لا يوجد ما يسمَّى بالحرِّية المطلقة يا دكتور (جمال) ، وإلاَّ انقلب الأمر إلى فوضى ، فحتى الأديان السماوية تمنح حرية محدودة بما لا يؤذى الغير .

ضحك الدكتور (جمال) بسخرية مريرة ، وقال :

ــ الغير ؟.. ومن هم هؤلاء الغير ؟ .. أتقصد الرَّعاع والأغبياء ، الذين يُعيقون دائمًا إنجازات العلم التى اقتربت من مرتبة المعجزات ؟

صاح الدكتور (شفيق) بضجر :

ــ القافلة تسير بقدر احتمال أضعفها أيها الزميل ، وهؤلاء الرَّعاع كما تسمِّيهم هم الذين يدفعون لك مرتبك من أموال الضرائب .

احتقن وجه الدكتور (جمال) ، وهمّ بالصراخ فى وجه الدكتور (شفيق) ، عندما أضاء مصباح أحمر فوق

رأسه ، وانطلق أزيز قوى ، فقفز الدكتور (شفيق) من مقعده وشحب وجهه ، وصاح بصوت أجش :

ـ يا إلهى !! لقد اقتحم أحدهم غرفة فريق الشرطة .. رباه .. هل تحوّل ذلك المركز إلى وكر للشيطان ؟

وقبل أن ينطق الدكتور (جمال) بكلمة ، كان الدكتور (شفيق) قد انطلق بسرعة لا تتناسب مع سنّه ، إلى خارج الغرفة ...

* * *

قفزت (سلوى) إلى خارج الغرفة ، وهى تصيح بجذل :

ـ رائع يا (نور) .. لقد نجحت فكرتك .. يا لك من عبقرى !!

صاح بها (نور) :

ـ مهلا يا عزيزتى .. لا تتحرّكى بهذه السرعة .. وإلا انطلق الغاز خلفنا .

تحرّك أفراد الفريق إلى خارج الغرفة القاتلة بهدوء ، وكان (نور) آخرهم .. ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى ظهر الدكتور (شفيق) فى أول الممر شاحب الوجه ، وتوقّف فى دهشة عندما وقع بصره على أفراد الفريق ، ثم تمالك نفسه بسرعة وصاح :

ـ ماذا حدث ؟.. لقد انطلق جهاز الإنذار فى غرفتى ، مشيرًا إلى أن الرّتاج الإليكترونى قد فتح عنوة .. لقد ظننت أن أحدهم قد اقتحم غرفتكم بالقوة .

ابتسم (نور) وقال :

ـ لقد حدث العكس يا دكتور (شفيق) .. قد حفرت الحائط حول ذلك الجزء من الرّتاج المخفى فى الحائط ، ثم دفعت الباب بالقوة .

اتسعت عينا الدكتور (شفيق) بذهول ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها الدكتور (جمال) خلفه ، وقال الأول بدهشة :

ــ ولكن لماذا ؟

صاحت (سلوى) فى وجهه بحنق :

ــ لأن أحدكم بكل بساطة ، قد حاول قتلنا يا سيِّدى .

ظلَّ وجه الدكتور (جمالْ) جامدا ، على حين ازدادت دهشة الدكتور (شفيق) ، وعجز عن النطق ، وفوجئ الجميع بـ (نور) يشير نحو الدكتور (جمال) ، قائلا بحدَّة :

ــ أين كنت فى اللحظات الماضية يا دكتور (جمال) ؟

ابتسم الدكتور (جمال) بسخرية ، وقال بهدوء :

ــ كنت أجلس مع الدكتور (شفيق) فى غرفته أيها الشرطى .

صمت (نور) لحظة ، تبادل خلالها نظرات التحدِّى مع الدكتور (جمال) ، ثم قال :

ــ وأين الدكتور (فريد) والدكتور (عزمى) ؟

هزَّ الدكتور (شفيق) كتفيه ، وقال :

ــ فى معمل أحدهما بالتأكيد ، فهما يجريان تجاربهما معا .

قال (نور) ببرود :

ــ أعتقد أننى سأحتاج لسؤالهما ، عما كانا يفعلان طوال الساعة الماضية .

تجهم وجه الدكتور (جمال) ، وهو يقول :

ــ إنك تسرف فى التدخُّل فى أعمالنا أيها الشرطىّ .. لن أسمح لك ..

صاح (نور) بصرامة :

ــ لست أنتظر سماحك من عدمه يا دكتور (جمال) .. لقد حضرنا إلى هذا المركز للتحقيق فى أمر جريمة قتل ، ولقد تعرَّضنا إلى القتل بدورنا .. وسواء أعجبك حديثى أم لا ، فهناك قاتل بينكم أيها العلماء الأربعة .

احتقن وجه الدكتور (جمال) ، وشحب وجه

الدكتور (شفيق) ، على حين استطرد (نور) بعزم :

— ولن يهدأ لى بال قبل أن أقدّم هذا الرجل للعدالة .. مهما كان الثمن .

* * *



٦ — القاتل الغامض ..

قطّب الدكتور (عزمى) حاجبيه ، وقال بدهشة :

— محاولة قتل ؟!.. عجبًا !!.. كنت أتصوّر أن هذا المركز يبحث فى علم الخلايا فقط .

عاد (نور) يسأله بهدوء :

— إنك لم تجب بعد عن سؤالى يا دكتور (عزمى) .. أين كنت طوال الساعة الماضية ؟

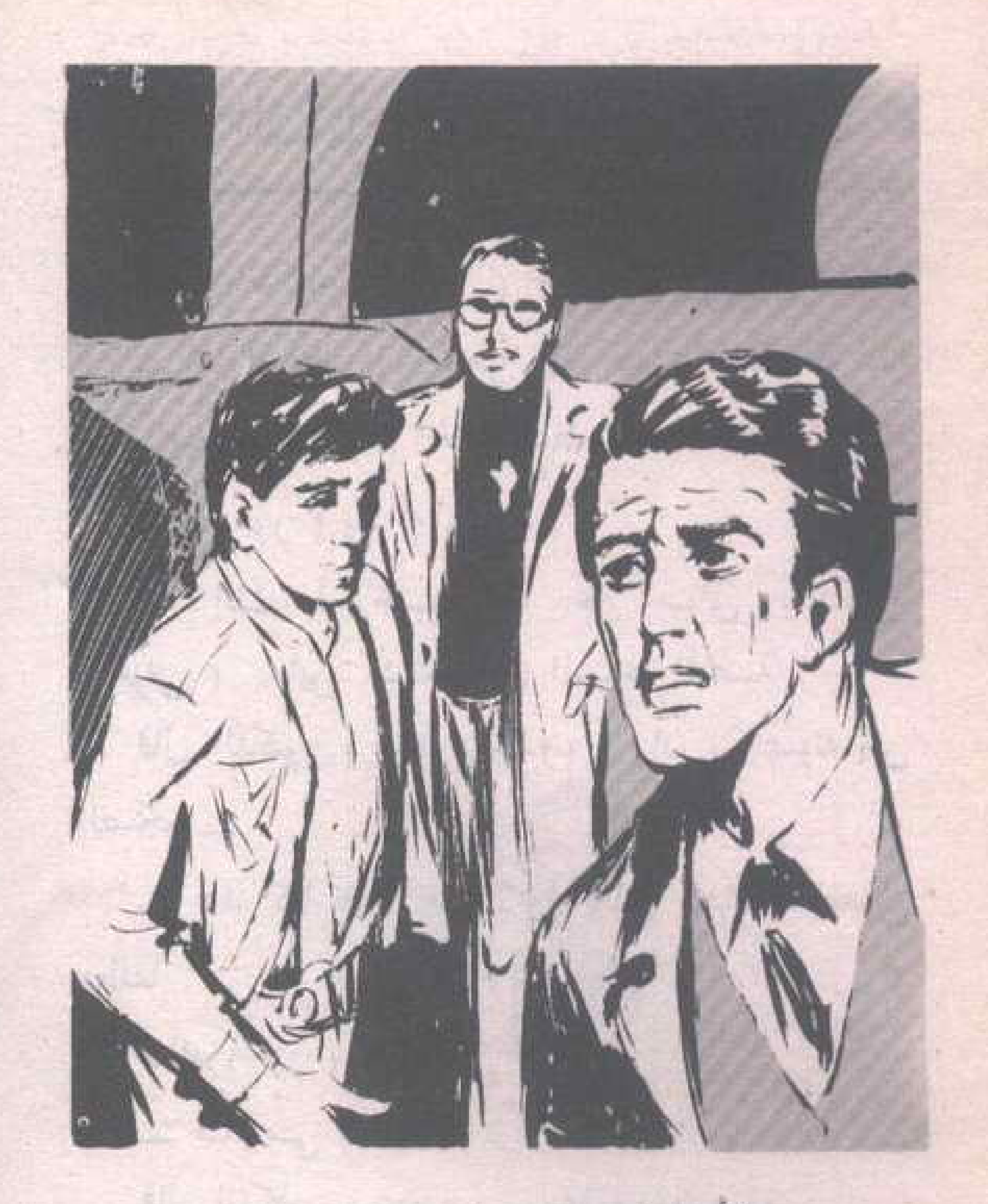
قال الدكتور (فريد) بهدوء ، وإن نمّ صوته عن الضجر :

— لقد كنا نعمل معًا ، ولم يغادر أحد منّا معملى مطلقًا .

سأله (نور) :

— منذ متى ؟

قال الدكتور (عزمى) بسرعة ودون تردُّد :



قطّب الدكتور (عزمى) حاجبيه ، وقال بدهشة :
— محاولة قتل ؟! .. عجبًا !! ..

— منذ ما يقل قليلاً عن الساعة .

وفى تلك اللحظة دخل (رمزى) إلى معمل الدكتور (فريد) ، وقال موجِّهًا حديثه إلى (نور) :

— لقد وجدنا أنبوبة الغاز أيها القائد .. لقد أوصلها أحدهم بأنبوب تجديد الهواء بغرفتنا .

عقد (نور) ساعديه ، وواجه الرجلين قائلاً :

— لقد حدث ذلك منذ ما يزيد قليلا على الساعة ، وهذا يعنى أن كلاً منكما كانت لديه الفرصة لوضع الأنبوب .

صاح الدكتور (فريد) بغضب .

— اسمع أيها الشرطى .. إننى أعمل مع الدكتور (عزمى) لمدة تزيد على سبع عشرة ساعة يوميًّا ، ولا يمكننى أن أتصوَّر أنه قاتل .

قال (نور) بابتسامة ساخرة :

— هل هذا رأيه أيضا يا ترى ؟

فاجأهم الدكتور (عزمى) بضحكة عالية ساخرة ، وقال :

— إن مراقبتك تجربة طريفة بالفعل أيها الشرطىّ .. إنك تحاول أن تتبع معنا سياسة (فرّق تسُد) .. تزرع الشك فى نفس كلّ منّا تجاه الآخر ، فتحصل على ما تريد .. يا لها من تجربة طريفة !!

ابتسم (نور) ، وقال بهدوء :

— هذا مبدأ الدول الاستعمارية يا دكتور (عزمى) ، ولا ينطبق على تحقيقات الشرطة .

لوّح بذراعه فى غطرسة ، وهو يقول :

— لا فارق أيها الشرطىّ .

تدخل (رمزى) قائلا بحنق :

— هناك فارق ضخم بالطبع .. إنهما على النقيض تماما .

أشار إليه (نور) أن يصمت ، وعاد يواجه العالمين قائلا :

— منذ متى تجريان هذه الأبحاث معًا ؟

قال الدكتور (فريد) ببساطة :

— منذ افتتاح المركز .. أى من حوالى خمس سنوات تقريبا .

سأله (نور) :

— ومن كان صاحب الفكرة ؟

ابتسم الدكتور (فريد) ، وقال :

— إنه أنا فى الواقع .. فأنا متخصص فى الخلايا النباتية .

صمت (نور) لحظة ، كأنه يستوعب هذه المعلومة ، ثم قال :

— وبأى شكل يعاونك الدكتور (عزمى) بالضبط ؟

أجابه الدكتور (عزمى) ببرود :

— إننى إخصائى فى معالجة الخلايا الحيّة بالإشعاع أيها الشرطى .

ثم ابتسم بسخرية ، وهو يردف قائلاً :

— هذا إذا كنت تفهم معنى ما أقول .

شعر (رمزى) بحنق بالغ فى هذه اللحظة ، فقال :

ـ اسمع يا دكتور (عزمى) .. إنك تكثر من توزيع تفسيراتك لكل حدث صغير ، وكأنك تفهم تماما الطبائع النفسية للبشر .. دعْنى إذن ألقى على مسامعك تحليلاً نفسيًا لشخصيتك .. وستسمعه من إخصائى هذه المرة .

بهت الدكتور (عزمى) من أسلوب (رمزى) الهجومى ، واحتقن وجهه غضبًا وهو يتمتم :

ـ هل تجرؤ .....؟

ولكن (رمزى) لم يتوقّف ، بل قاطعه وهو مستمر فى حديثه الغاضب قائلا :

ـ إنك رجل أنانى مغرور ، قضيت طفولة معذّبة ، ومن الأرجح أن والديك قد انفصلا ، أو أنهما كانا دائما على خلاف ، حتى أنك تشعر بمقت للمجتمع ، وبرغبة فى التعالى على الجميع ، كمحاولة لإثبات تفوُّقك وسموك عمن حولك ، وأنت من ذلك النوع

الذى يتفوّق فى دراسته ، لتعويض جوانب النقص الأخرى فى حياته ، وأراهن أنك كنت تكره والديك ، أو أنك على الأقل لم تكنَ لهما الحب الكافى ، ومن أجل ذلك تخشى الزواج ، حتى لا يكون لك أبناء يكرهونك بالمثل .

شحب وجه الدكتور (عزمى) بشدّة ، وخرج صوته متحشرجا مختنقا وهو يقول :

ـ أنت .. أنت ..

ولكنه لم يستطع إكمال عبارته ؛ إذ احتبست الكلمات فى حلقه ، واندفع بعصبية مغادرا الغرفة ، وساد الصمت التام بعد خروجه حتى قال الدكتور (فريد) :

ـ ما كان ينبغى أن تفعل ذلك .. لقد حطّمته .. إن كل كلمة ذكرتها كانت حقيقة .

قال (رمزى) بلا مبالاة :

ـ كان لا بدّ له من هذه الصدمة ، حتى يتوقف عن غطرسته التى لا مبرّر لها .

تجاهل (نور) هذا الحوار ، والتفت إلى الدكتور (فريد) قائلا :

ــ تقول : إنكما تعملان ما يقرب من سبع عشرة ساعة يوميًا .. لماذا توقفتما قبل هذه الساعة إذن ؟

صمت الدكتور (فريد) لحظة ، ظلت ملامحه خلالها جامدة ، ثم قال بهدوء :

ــ لقد اعتدت الحصول على حمام بارد ما بين وقت وآخر .

لم يكن يبدو سببًا مقنعًا ، إلا أن (نور) قال ببساطة :

ــ حسنًا يا دكتور (فريد) ، سأتركك لإكمال أبحاثك ، وأحبّ أن أنبهك إلى أن زميلنا (محمود) سيتحدّث إليك بعض الوقت ، حول طبيعة أبحاثك .

وما أن غادرا المعمل حتى قال (رمزى) :

ــ لا أظنه تفسيرا مقنعا .

قال (نور) بهدوء :

ــ من يدرى يا (رمزى) ؟.. من يدرى ؟

* * *

اقتربت (سلوى) على أطراف أصابعها من (نور) ، الذى غاص فى مقعده الوثير ، وشبّك أصابع كفّيه أمام وجهه ، الذى ارتسمت على ملامحه أبلغ علامات التفكير العميق ، والحيرة والقلق معًا ..

مسّت (سلوى) كتف زوجها برفق . فرفع رأسه نحوها بهدوء ، وحاول أن يبتسم ، إلا أن قلقه وحيرته حالا بينه وبين ما يريد . فاكتفى بأن هزّ رأسه بهدوء ، دون أن ينطق بكلمة ، فسمعها تقول :

ــ ما بالك يا (نور) ؟ لقد مضت ساعتان تقريبا ، وأنت تجلس هكذا دون حراك .

رفع (نور) حاجبيه ، ثم عاد وخفضهما وهو يتنهّد بعمق ، ومرت فترة من الصمت قبل أن يقول :

ــ إننى أشعر بالحيرة يا (سلوى) .. حيرة بالغة وغموض ، دون بارقة من أمل .

هزت كتفيها وهى تقول :

ـــ إننى لا أملك موهبتك المذهلة فى الاستنتاج يا (نور) ، ولكننى أظن أن القاتل سيرتكب خطأ بالتأكيد ، فلا يوجد ما يسمى بالجريمة الكاملة .. ما رأيك فى حادث محاولة قتلنا بالغاز ؟

زوى ما بين حاجبيه ، وقال :

ـــ هذا الحادث بالذات هو سبب حيرتى ، فما زلت أتساءل : لماذا يحاول أحدهم قتلنا باستخدام غاز له لون واضح وضوح الشمس وثقيل ، بحيث يحتاج إلى وقت طويل للوصول إلى أنوفنا ؟.. لو أنه ينوى قتلنا حقًا ، للجأ إلى غاز عديم اللون والرائحة ، بحيث يأخذنا على غرّة .. لقد كان وكأنه يقصد إتاحة الفرصة لنا للنجاة .

وصمت لحظة قبل أن يستطرد :

ـــ ولقد كنت أتوقع أن يكون قد هيأ لنفسه دليل نفى قويًا فى حالة الفشل . ولكننى فوجئت بأن كل

واحد من العلماء الأربعة لا يملك دليل نفى على الإطلاق .. لقد كان كل منهم قادرًا ولديه الوقت الكافى لدسّ أنبوب الغاز .

سألته (سلوى) بحيرة :

ـــ وماذا يعنى ذلك ؟

لوّح بذراعيه وهو يقول :

ـــ يعنى أن قاتل الدكتور (يوسف) وصاحب التجارب السرّيّة ، لم يكن يعنى قتلنا بالمعنى المفهوم ، وإنما كان يهدف إلى اختبار قدرتنا على مواجهة مثل هذه الظروف ، ولو توخّينا الدقّة فسنعترف بأنه كان يعاملنا كحيوانات التجارب ، لمعرفة ردّ فعلنا فى مواجهة الخطر .

تمتمت (سلوى) بدهشة :

ـــ حيوانات تجارب ؟؟!

واصل (نور) حديثه ، دون أن يعلّق على عبارتها :

ـــ إنه يعلم إذن لماذا نحن هنا بالضبط ، وسيتخذ

كل احتياطاته ، حتى لا يرتكب أى خطأ طوال وجودنا .

وتراقصت على شفتيه ابتسامة خبيثة ، وهو يستطرد قائلاً :

ـــ ما رأيك لو أننا سبَّبنا لهذا العالم القاتل صدمة تخالف كل توقُّعاته ؟

نظرت إليه (سلوى) نظرة تحمل كل معانى التساؤل ، فتابع قائلاً :

ـــ لقد قام ذلك القاتل بدراستنا ، حتى يمكنه توقُّع ردود فعلنا القادمة .. وبطبيعته كعالم سيبنى توقُّعاته على الحقائق الموجودة لديه ، ومن ضمن هذه الحقائق أننا نحاول الاحتفاظ بطبيعة مهمتنا سرًّا ، ولكننا سنفاجئه ونفاجئ الجميع بالعكس .

سألته (سلوى) بدهشة عارمة :

ـــ هل ستكشف طبيعة مهمتنا يا (نور) ؟

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـــ إن دهشتك الشديدة تؤكد صلاحية فكرتى يا عزيزتى .

ثم رفع سبَّابته أمام وجهه قائلاً :

ـــ ثم إن هناك وسيلة قديمة جدًّا وفعَّالة ، لم نلجأ إليها بعد .

قطَّبت (سلوى) حاجبيها بتساؤل ، وهى تتمتم بصوت خافت :

ـــ قديمة وفعالة ؟.. ما هى بالضبط ؟

قال (نور) بهدوء :

ـــ تفتيش غرفة الدكتور (يوسف) رحمه الله ... غرفته الخاصَّة .

* * *

٧ ـ ثنايا التاريخ ..

دار (نور) ببصره يتأمل العلماء الأربعة ، الذين تملكهم الملل ، داخل الغرفة المربعة التى تتسع لعشرة أشخاص على الأكثر ، ثم ناول (رمزى) شريحة زجاجية صغيرة ، أسرع هذا الأخير يدسّها فى جهاز أسطوانى متوسط الحجم ، على حين واجه (نور) العلماء قائلاً :

ـ أنتم تعلمون أننا قد أتينا إلى هذا المكان ، من أجل بعض الأبحاث السرّيّة التى يجريها أحدكم .

تمتم العلماء الأربعة بعبارات مبهمة ، ولكن (نور) ميّز جيّدًا ابتسامة الدكتور (جمال) الساخرة ، ونظرات الحقد التى تفيض من عينى الدكتور (عزمى) ، ووجه الدكتور (فريد) الهادئ ، وأعصاب الدكتور (شفيق) المتوترة ، فتابع بهدوء تعمد أن يضفى عليه صبغة باردة :



— ولكن ثلاثة منكم يجهلون طبيعة هذه الأبحاث بالضبط ، أما الرابع فهو يعلم جيدًا أنه يجرى تجارب سريَّة حول .....

وصمت لحظة كان يعلم تأثيرها عليهم جيدًا ، قبل أن يتابع بهدوء وهو يتأمل ملامحهم :

— حول الخلود .

اتسعت عينا الدكتور (شفيق) دهشة ، وزوى الدكتور (فريد) ما بين حاجبيه وهو يمطّ شفتيه بتعبير مُبْهَم ، وضغط (عزمى) على أسنانه بغيظ ، على حين ابتسم الدكتور (جمال) بسخرية ، وقال :

— الخلود ؟.. أى سخافة أوحت إليك بمثل هذا الخيال المبتذل أيها الشرطىّ .

قال (نور) بصرامة :

— الرائد (نور) .. اسمى هو الرائد (نور) ، ولن أسمح لأحدكم بمخاطبتى بغير ذلك .. أما بخصوص تجارب الخلود ، فسأوفر وقت المناقشة والحديث ، وأعرض

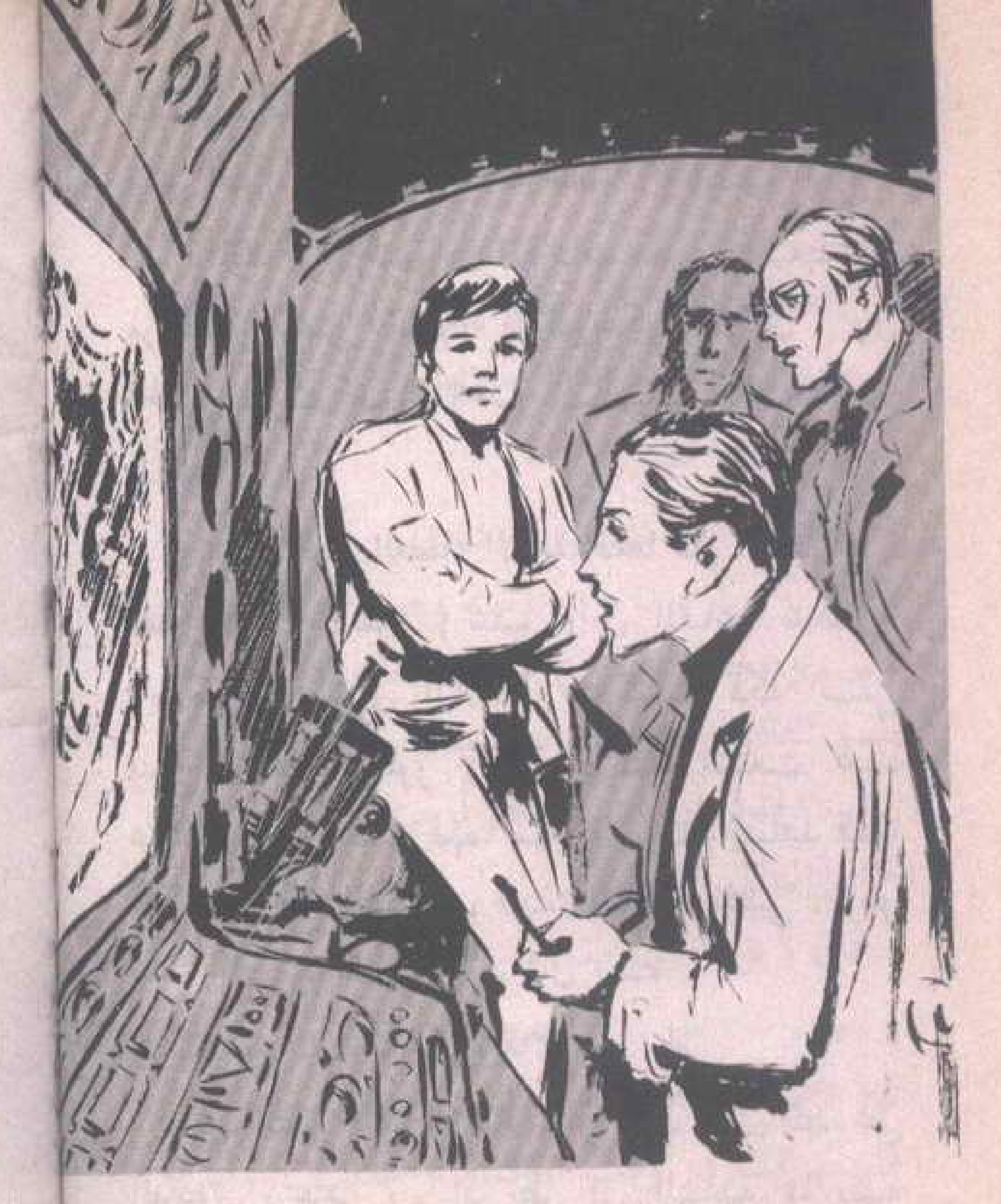
عليكم بواسطة الميكروسكوب الإليكترونى شريحة ، أنا واثق أنها ستثير دهشة ثلاثة منكم ، وغضب الرابع .

ثم أومأ لـ (رمزى) إيماءة ذات معنى ، فضغط على زرٍّ صغير متصل بأسطوانة الميكروسكوب الأيونى .. وفى الحال ظهرت صورة الخليَّة النباتحيوانيَّة واضحة على شاشته ..

كان ردّ فعل العلماء الأربعة مختلفا تمام الاختلاف ، فقد حدَّق الدكتور (شفيق) فى الشاشة بذهول ، وبشكل أقرب إلى البلاهة ، إذ تدلَّت فكّه السفلى بتراخ ، أما الدكتور (جمال) فقد اتسعت عيناه دهشة ، ثم ارتسمت فيهما سخرية ، وكأنه يشاهد فيلما هزليًا ، وخلع الدكتور (فريد) منظاره الطبى ، وهو يتأمَّل الصورة العجيبة ، ثم قال ببطء :

— أهى خدعة تصويرية ؟

كان التعبير المثير للانتباه ، هو ذلك الذى ظهر على الدكتور (عزمى) ، إذ نظر إلى الشاشة بما يشبه



وخلع الدكتور (فريد) منظاره الطبى ،
وهو يتأمل الصورة العجيبة ..

الرُّعب ، ثم نظر نحو (نور) و (رمزى) ، وقطَّب حاجبيه ، وهو يقول بسخط :

— ما هذه الدعاية الشيطانية ؟

اقترب (نور) بهدوء من الشاشة ، وقال مبتسمًا :

— ليس فى الأمر خداع أو دعاية أيها السادة .. إن هذه الخليَّة التى ترونها والتى تجمع ما بين الخليَّة النباتية والحيوانية ، هى نتاج تلك التجارب السرِّيَّة التى يجريها أحدكم ، والتى يهدف بها إلى الوصول للخلود .

قال الدكتور (جمال) بسخرية ، انطلقت كالرصاصة وسط الموقف المتوتِّر :

— هراء .. ما هذه إلا واحدة من خدع المخابرات العلمية .. إن مثل هذه الخليَّة لا يمكن وجودها مطلقًا ، حتى باستخدام أبرع نظريات وأحدث تكنولوجيات هندسة الوراثة .

قال (نور) بتحدٍّ :

— ولم لا ؟..

هزَّ الدكتور (جمال) رأسه كمن يتحدَّث إلى تلميذ خائب ، وقال :

ـــ هذا هو مجال تخصُّصى أيها الرائد .. الأمر مستحيل ببساطة ؛ لأن طبيعة الجينات الوراثية للخلايا النباتية تتنافر تمامًا مع مثيلتها من الخلايا الحيوانية ، ثم إن هناك اختلافات جوهرية لا يمكن إهمالها ، تجعل من المستحيل الدمج بين الخليَّتين بأى شكل من الأشكال .

قال (رمزى) متحدِّيا :

ـــ هذا ما يقال دائما عن كل النظريات العلمية ، قبل إثبات صحتها يا دكتور (جمال) .

ضحك الدكتور (جمال) ، وقال :

ـــ هذا الأمر لا ينطبق على الثوابت العلمية يا فتى ، فلن يأتى يوم نقول فيه مثلا : إن الجاذبية الأرضية تدفع الأجسام إلى أعلى .

تدخَّل (نور) قائلا :

ـــ ولكن القوانين التى وضعها (نيوتن) و (فيثا غورث) ،

ظلَّت ردحًا طويلاً من الزمن تعتبر من الثوابت ، حتى وضع (اينشتين) نظريته ، فتبدَّلت هذه الثوابت ، وأتى الدكتور (مصطفى مشرفة) فبدَّلها مرة أخرى ، وهكذا .

كان من العجيب أن الدكتور (جمال) قد تخلَّى عن سخريته تمامًا ، وارتدى ثوب العلماء وهو يدافع عن فكرته قائلاً :

ـــ ولكن لم يأت يوم نقول فيه ، إن الماء قد فقد قوة دفعه للأجسام من أسفل إلى أعلى مثلاً ، أو أن الأرض قد فقدت دورانها حول نفسها ، أو حول الشمس .

حرَّك (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ ولكن فيما يختص بما نحن بصدده ، دَعْنى أذكِّرك أنه حتى أواخر القرن العشرين ، كان من الثابت علميًا أن الأعصاب المقطوعة لا يمكن حثها على النمو مرة أخرى ، ولكن هذا الثابت تغيَّر تمامًا مع بداية القرن الحادى والعشرين .

عقد الدكتور (جمال) ساعديه أمام صدره ، وقال بعناد :

— ما زلت أصرُّ على أن ما نراه مستحيل .

قال الدكتور (عزمى) بهدوء :

— إننى أشاركك هذا الرأى يا زميلى العزيز .

التفت الدكتور (شفيق) إلى زميليه ، وعدَّل وضع منظاره الطبّى ، ثم قال بتردد :

— أنا الآخر أراه أمرًا مستحيلاً .

تحوّل (نور) إلى الدكتور (فريد) ، وسأله بحنق :

— وماذا عنك يا دكتور (فريد) ؟

رفع الدكتور (فريد) منظاره الطبّى ، وتمعّن فى الشاشة لحظات ، ثم هزّ رأسه ببطء ، وقال :

— برغم أننى أراه بعينى ، إلا أننى أشارك زملائى فى أنه مستحيل تماما .

صاح (رمزى) بحنق ، وهو يشير إلى الصورة الواضحة على الشاشة :

— بالله عليكم .. كيف ترفضون ما تراه أعينكم ؟

قال الدكتور (جمال) ببرود :

— إن ذلك يمكن صنعه أو تلفيقه بواسطة الأجهزة الميكروسكوبية الحديثة يا عزيزى ، فمن السهل نزع الغلاف السليولوزى لخليّة نباتية ، وزرعه حول خليّة حيوانية .

همّ (رمزى) بالاعتراض مرّة أخرى . إلاّ أن (نور) أوقفه بإشارة من يده ، وقال :

— حسنا أيها السادة .. إننى أحترم آراءكم العلمية .

ثم عقد ساعديه ، واستطرد بتحدّ :

— ولكن ذلك لا يمنع من وجود قاتل وسطكم . وسأسعى خلفه حتى النهاية .

* * *

دارت (سلوى) بضجر فى غرفة الدكتور (يوسف) الشخصية ، ثم وضعت الجهاز الذى كانت تفحصه فوق مكتب خشبىّ قديم ، وألقت بنفسها فوق مقعد

ضخم ، وقالت لـ (محمود) :

— كنت أودَ أن أكون مع (نور) الآن ، وهو يواجه العلماء الأربعة ، بدلاً من أن أقضى وقتى فى تفتيش غرفة الدكتور (يوسف) رحمه الله .

ابتسم (محمود) ، وقال وهو يقلّب بعض الأوراق الموضوعة فوق المكتب :

— تذكّرى مبادئ زوجك يا (سلوى) .. إنه لا يستهين بأى عمل ، فمن رأيه أن الحقيقة قد تسطع فجأة من حيث لا نتوقعها ، والمثل القديم يقول : « معظم النار من مستصغر الشرر » .

لوّحت (سلوى) بذراعها فى ضجر ، على حين اتجه (محمود) نحو رفّ صغير صُفّت فوقه بعض الكتب ، وتناول أحدها وهو يقول :

— يبدو أن المرحوم الدكتور (يوسف) ، كان من هواة القراءة ، والتاريخ على وجه التحديد .

وأخذ يقلّب صفحات الكتاب ، وهو يقول :

— هذا الكتاب مثلاً عن حياة الفنان الإيطالى العبقرى (ليوناردو دافنشى) ، ويتحدَث عن منجزاته التى تخطّت التطوُّر العلمى فى عصره .

وفجأة تبدّلت ملامحه وهو يقول :

— عجبًا .. هناك صفحة منتزعة من هذا الكتاب .

ابتسمت (سلوى) ، وقالت :

— إنك تتحدَّث كما لو كان حلَ اللّغز كله يكمن فى هذه الصفحة .

تمتم (محمود) وهو يتناول كتابًا آخر :

— من يدرى يا (سلوى) ؟.. ربما !

اقتربت منه (سلوى) وراقبته وهو يتصفَّح الكتاب الآخر باهتمام بالغ ، وألقت نظرة سريعة على عنوانه ، ثم قالت :

— إنك تتصفح كتابًا عن (نابليون بونابرت) يا (محمود) .

توقّف (محمود) فجأة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة نصر ، وهو يقول :

— هذا صحيح ، ولكن الطريف أنه أيضًا ينقص ورقة كاملة .

ثم وضع الكتاب فوق الآخر ، وهو يقول :

— قد يبدو الأمر ساذجًا ، ولكننى أظن أننا لو قلّبنا صفحات باق الكتب فسنجد بها أيضًا صفحـــات ناقصة .. ومن رأيى أن هذه الصفحات تحمل حلّ اللّغز .

* * *

٨ ــ مسافر عبر الزمن ..

زوى (نور) ما بين حاجبيه ، وتناول أحد الكتب التى وضعها أمامه (محمود) ، وقلّب صفحاته حتى وصل إلى الورقة الناقصة ، فأمسك ذقنه بيده ، وقال :

— عجبًا .. ورقة ناقصة باستمرار ، ومن الواضح أنها انتزعت بسرعة .

قال (محمود) بانفعال :

— بالضبط ، وفى ثلاثة كتب تاريخية بالتحديد عن (ليوناردو دافنشى) ، و (نابليون بونابرت) ، و (يوليوس قيصر) .

قرأ (نور) بعض عبارات الصفحات الأخرى، وقال :

— لو تابعنا تسلسل العبارات ما بين الورقة المقطوعة ؛ لأمكننا الجزم أنها كانت تتضمن رسمًا توضيحيًا ، وإلا لبترت العبارات .

قال (رمزى) متعجبًا :

ـــ ربما انتزعها الدكتور (يوسف) ؛ ليحتفظ بها ضمن ألبوم رسوم مثلاً .

قال (محمود) باهتمام :

ـــ لو أن الأمر كذلك لوجدناها فى غرفته ، ولكننا فتشناها جيدًا ، ولم نجد أثرًا للأوراق الثلاث الناقصة .

ظلَّ (نور) صامتًا بعض الوقت ، ثم قال :

ـــ أعتقد أن المكتبة العامة الضخمة بالمنصورة ، ستحتوى بالتأكيد على أكثر من نسخة من هذه الكتب الثلاثة ، وأريد منك أن تذهب إلى هناك فى الحال يا (رمزى) ، وحاول استعارة نسخة من كل من الكتب الثلاثة ؛ لنبحث عما تحتوى عليه تلك الأوراق المفقودة .

أسرع (رمزى) خارجا لتنفيذ الأمر ، على حين سألت (سلوى) بفضول :

ـــ ماذا تتوقَّع أن تحتوى عليه تلك الأوراق يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ابتسامة شاحبة ، وقال :

ـــ لو أخبرتك بما يدور فى ذهنى ، لأصابك الفزع والذهول يا عزيزتى .

ازداد فضول (سلوى) بحكم أنوثتها ، فعادت تسأله بلهفة :

ـــ أخبرنى بالله عليك .. ماذا تتوقع يا (نور) ؟

نهض (نور) من مقعده ، وسار بضع خطوات ، ثم التفت إلى (سلوى) و (محمود) ، وقال ببطء :

ـــ إننى أتصوَّر أن تحتوى تلك الورقات على رسوم واضحة ، تبدو فيها ملامح أحد العلماء الأربعة العاملين بالمركز .

اتسعت عينا (سلوى) وهى تحدِّق فى وجه زوجها بدهشة ، على حين قطب (محمود) حاجبيه ، وقال :

ـــ ولكن هذا مستحيل يا (نور) . لقد عاش (يوليوس قيصر) فيما قبل الميلاد ، وعاش (دافنشى) فى عصر النهضة الإيطالى ، أما (نابليون) ففى الفترة

التى تلت الثورة الفرنسية ، ومن غير المعقول أن يعيش رجل طوال هذه العصور ، و ....

وفجأة توقَّف عن إتمام عبارته ، واتسعت عيناه دهشة ، فقال (نور) مبتسمًا :

ــ يبدو أنك قد فهمت ما أعنيه يا (محمود) .

ثم وجَّه بصره ناحية (سلوى) التى تملَّكها الذهول ، واستطرد بهدوء :

ــ يبدو أن لعبة الخلود لم تبدأ فى هذا العصر ، وأن أحد علماء هذا المركز قد عاصر (يوليوس قيصر) شخصيًا .

صاحت (سلوى) بدهشة :

ــ ولكن ذلك مستحيل يا (نور) .. إذا كان علماء هذا العصر يرون ذلك مستحيلا ، فما بالك بالعصور السابقة ؟

قال (نور) بهدوء :

ــ إن أسرار الهرم الأكبر التى لم ننجح فى كشفها

حتى هذا العصر ، وصموده طوال هذه القرون ، يؤكد أن ما نعلمه عن التفوُّق العلمى لقدماء المصريين قليل جدًا يا عزيزتى .

حرَّك (محمود) رأسه بحيرة ، وقال :

ــ ليس من السهل أن أقنع بهذه الفكرة المستحيلة أيها القائد .

قطَّب (نور) حاجبيه وهو يقول :

ــ لو رفضنا ذلك ، فسيكون علينا أن نناقش فكرة أكثر عجبًا ، ولا يهضمها عقلى أبدًا .

سألته (سلوى) :

ــ أيَّة فكرة هذه ؟

قال بهدوء :

ــ أن يكون أحدهم قد توصَّل إلى أسلوب التنقُّل عبر الزمن ، أو أن خصمنا هو رجل يسافر ببساطة عبر الأجيال .

* * *

ضغطت (سلوى) على زرّ الإغلاق فى الكمبيوتر الموضوع أمامها ، ثم التفتت إلى (نور) ، وقالت :

— إن أوراق العلماء الأربعة تبدو سليمة للغاية يا (نور) .

قال (نور) وهو يعتمد بذقنه على راحته :

— ولكننى أراها ناقصة يا عزيزتى ، فهى لا تضم تحاليل الدم أو البصمات .

ابتسمت (سلوى) ، وقالت :

— هذا ينطبق على العاملين فى المخابرات فقط يا عزيزتى .

كانت نظرات (نور) غامضة ، وهو يقول :

— إننى أراها ضرورية للغاية فى مهمتنا هذه يا زوجتى العزيزة .

نظرت إليه (سلوى) بتعجب ، ولكنه تابع قائلاً :

— ما رأيك لو أننا طلبنا منهم إكمال أوراقهم ؛ بأن نحصل منهم على بصمات أصابعهم ، وعينة من دمائهم .

هزّت رأسها بحيرة ، وقالت :

— لست أفهمك هذه المرة يا (نور) .

ابتسم (نور) ابتسامة غامضة أثارت ضيقها ، فهمّت بالتفوّه بعبارة غاضبة ، لم تخرج من فمها ؛ لأن (رمزى) دخل إلى الغرفة التى يجلسان فيها وهو شاحب الوجه بشكل عجيب ، فسأله (نور) باهتمام :

— ماذا فعلت يا (رمزى) ؟.. أين الكتب التى طلبتها منك ؟

جلس (رمزى) على مقعد مجاور ، وخرج صوته ضعيفًا وهو يقول :

— لقد واجهتنى مفاجأة مذهلة أيها القائد .

اعتدل (نور) فى مقعده ، وقال بهدوء أثار دهشة (سلوى) :

— هل تعنى أنك وجدت نفس الورقات ناقصة فى كل النسخ الموجودة بدار الكتب ؟

نظر إليه (رمزى) بدهشة شاركته فيها (سلوى) ، وهو يقول :

— كيف عرفت ذلك أيها القائد ؟

استند (نور) إلى ظهر مقعده ، واسترخى تمامًا وهو يقول مبتسمًا :

— لم أعرفه ، ولكننى توقَّعته يا عزيزى (رمزى) .

* * *



٩ — الحادث الثانى ..

دخل الدكتور (شفيق) بخطوات متردِّدة إلى أحد المعامل الخمسة بالمركز ، وتطلَّع بخوف ناحية الميكروسكوب الأيونى ، ثم سار بخطوات متعثِّرة حتى أصبح أمامه مباشرة ، فمسَّه بتردُّد كأنما يمسّ ثعبانًا سامًا ، وقال بقلق :

— الأمر محيِّر بالفعل .. ماذا لو أن هذا الشرطى على حق ؟.. هل يمكن أن يكون ......

ثم هزَّ رأسه وكأنه يطرد الأفكار منها ، وقال :

— لا .. مستحيل .. مستحيل أن تكون تلك الشكوك التى حدَّثنى عنها الدكتور (يوسف) حقيقية .. لا يمكننى أن أتصوَّر صحَّة ذلك .

وعاد يمسّ الميكروسكوب الأيونى بقلق ، ثم تراجع عنه بذعر ، وقال وهو يلهث كمن بذل مجهودًا ضخمًا :

— لا .. لا .. لقد شطح الخيال بالدكتور (يوسف) بلا ريب .

وفجأة جاءه صوت هادئ يقول :

— ما الذى أخبرك به (يوسف) بالضبط يا دكتور (شفيق) ؟

استدار الدكتور (شفيق) برعب ، وهو يطلق من حنجرته صرخة متحشرجة مكتومة .. وما أن وقع بصره على محدّثه حتى ارتجف جسده بأكمله ، ولوّح بكفّه أمام وجهه صائحًا :

— لا شىء .. لا شىء .. إنه لم يخبرنى بأى شىء على الإطلاق .

ثم حاول تمالك أعصابه ، وقال :

— ماذا أحضرك إلى المعمل فى هذا الوقت المتأخر ؟

خرج صوت الرجل الذى يواجهه باردًا عميقًا ، وهو يقول :

— من الأفضل أن أسألك أنا هذا السؤال يا دكتور (شفيق) ، فأنت فى معملى الشخصى .

كان الرجل يقترب من الدكتور (شفيق) بخطواته

الباردة الهادئة ، ووجهه الجامد الملامح ، حتى أن الدكتور (شفيق) تراجع بذعر ، وقال بصوت أقرب إلى البكاء :

— سأحفظ سرّك .. لن أخبر أحدًا بما علمته .. أرجوك .

واصل الرجل تقدّمه ببرود ، وهو يقول :

— قضى الأمر يا دكتور (شفيق) .. لقد أصبحت حياتى مقابل حياتك .

جحظت عينا الدكتور (شفيق) ، وحاول أن يقفز مبتعدًا عن الرجل فى محاولة يائسة ، دفعه إلى أدائها حبّ البقاء ، ولكن الرجل تحرّك بسرعة مذهلة ، وقبض على ذراع الدكتور (شفيق) ، وهو يقول ببرود :

— استسلم يا صديقى .. لا فائدة .

احتبست صرخة فى صدر الدكتور (شفيق) ، وجحظت عيناه وهو يشعر بخفقان قوى بين ضلوعه ، ولم يلبث أن تجمّدت أطرافه ، ولفظ أنفاسه الأخيرة .

* * *



ولكن الرجل تحرَّك بسرعة مذهلة ،
وقبض على ذراع الدكتور (شفيق) ..

استند (نور) إلى حاجز شرفة غرفته ، وعقد ساعديه وهو يتطلّع إلى النجوم التى تملأ السماء كالمصابيح المعلّقة فى ظلام الليل ، وتملّكته النشوة برغم الأفكار التى تدور فى رأسه ، فتنهّد بعمق ، واقتربت منه (سلوى) ، ولمست كتفه برقة وهى تقول :

ـ أما زلت تفكّر فى هذا اللغز يا (نور) ؟

هزَّ كتفيه وهو يقول :

ـ وهل لدىَّ ما أفكّر فيه سوى ذلك ؟

استندت إلى حاجز الشرفة بدورها ، وقالت بتساؤل :

ـ لقد أدهشنى اختفاء نفس الأوراق من كل نسخ الكتب بالمكتبة العامة .. ولكن كيف توقّعت ذلك ؟

تطلّع (نور) إلى النيل الذى يجرى أمامه ، وقال :

ـ كان الأمر يبدو طبيعيًا فى ذهنى يا عزيزتى ، فالرجل الذى يسعى وراء الخلود ، لن يسمح بتحطيم آماله بسبب نقطة قد تفضح حقيقته .

هزّت رأسها بحيرة ، وقالت :

ــ ما زال الأمر يبدو لى غامضًا وعجيبًا للغاية ، وخصوصًا بعد أن أكّد (محمود) أن تجارب (فريد) و(عزمى) ، لا تمت بصلة لموضوع الخليّة المزدوجة ، ومن المستحيل طبعًا أن يمارس أحدهما تجارب مستقلة ، بعد سبع عشرة ساعة من العمل المشترك .

قال (نور) بهدوء :

ــ بالطبع ، فلا يبقى فى اليوم سوى ثمانى ساعات ، وهى تكفى للنوم فقط .

اعتدلت (سلوى) ، وقالت :

ــ لم يعد باقيًا إذن سوى الدكتور (شفيق) والدكتور (جمال) .

هزّ رأسه وظلّ على صمته ، فسألته بحيرة :

ــ ماذا يقلقك هكذا يا (نور) ؟ .. لقد سافر (رمزى) إلى القاهرة ، وفى أقل من ساعتين سيعود بنسخ سليمة من الكتب ، وسينكشف اللّغز بأكمله كما تتوقّع .

قال (نور) بصوت خافت :

ــ إن عقلى يرفض أن يهدأ يا عزيزتى .. هناك شىء ما .. نقطة ما لا تتفق مع الاستنتاج الذى يدور بذهنى .. نقطة لا أجد لها تفسيرًا حتى الآن .

تملّكها فضولها القوى ، فسألته باهتمام :

ــ أخبرنى بها يا (نور) ، لعلّنا نجد تفسيرًا لو اشتركنا معًا فى التفكير .

وفى تلك اللحظة سمع كلاهما طرقًا قويًا على باب غرفتهما .. طرقًا يدلّ على القلق والخوف ، فأسرع (نور) إلى باب الغرفة وفتحه ، فوجد أمامه الدكتور (جمال) شاحب الوجه ، يقول بصوت مرتبك :

ــ هناك ما يحتاج إليك أيها الرائد .. حادث مفاجئ .

سأله (نور) بقلق :

ــ ماذا حدث يا دكتور (جمال) ؟

ازداد شحوب وجهه ، وهو يقول :

ـ إنه الدكتور (شفيق) .. لقد لقى مصرعه .. أصابته سكتة قلبية فى الممر الذى يضم معاملنا جميعًا .

* * *

فحص (نور) جثة الدكتور (شفيق) بسرعة ، ثم نهض وواجه الجميع .. (فريد) و (عزمى) و (جمال) و (محمود) و (سلوى) ، وتنهَّد قبل أن يقول :

ـ من الواضح أنه قد فارق الحياة .. صحيح أن معلوماتى الطبِّية محدودة للغاية ، ولكن دروس الطبِّ الشرعى التى تلقيتها فى كلية الشرطة على يد الدكتور (محمد حجازى) تقول : إنه قد توفِّى منذ أقل من ساعة بسكتة قلبية مفاجئة ، وإن نمَّت ملامحه عن خوف واجهه فى لحظاته الأخيرة .

قال الدكتور (عزمى) ببرود :

ـ جميع الذين يموتون بالسكتة القلبية تبدو عليهم ملامح الخوف والألم أيها الشرطى ، ويرجع ذلك إلى آلام الأزمة القلبية نفسها .

أجابه (نور) بنفس البرود :

ـ ربما .. وربما أصابه الخوف لسبب آخر .. بسبب رؤيته لقاتله على سبيل المثال .

أشاح (عزمى) بوجهه دون أن يحاول إخفاء الابتسامة التهكمية فوق شفتيه ، وخيَّم الصمت على المكان لحظة ، قبل أن يقول (نور) :

ـ سنعمل على نقله إلى غرفته ، ونبلِّغ السلطات المسئولة بالأمر ، فلا بد من تشريح جثته ، لمعرفة سبب الوفاة الفعلى .

تنهَّد الدكتور (فريد) ، وقال بأسى :

ـ يا له من أمر مؤسف !! من يصدِّق أنه كان حيًّا بيننا منذ أقل من ساعتين ؟

تمتم الجميع ببعض عبارات الحسرة والأسف ، وتنهَّدت (سلوى) وهى تقول :

ـ هكذا الدنيا يا سيِّدى .. تنقلب أحوالها بسرعة البرق .. تصوَّرْ .. لقد كنا منذ لحظات نتأمَّل النيل

العظيم ، والسماء ذات النجوم ، وها نحن أولاء الآن نتأمَّل جثة الدكتور (شفيق) .

قال (نور) بهدوء :

ــ حسنًا .. فليعد كل منكم إلى غرفته ، وسيعاوننى (محمود) فى نقل جثة الدكتور (شفيق) إلى غرفته ، و ....

وفجأة بتر عبارته ، وبرقت عيناه ببريق ، اختلج لمرآه قلب (سلوى) و (محمود) ، وسمعه الجميع يتمتم بدهشة :

ــ ربَّاه !! هل هذا ممكن ؟

كادت (سلوى) تصرخ طالبة منه أن يخبرها بما توصَّل إليه ، وارتعد جسد (محمود) بأكمله من شدَّة انفعاله .. كان بريق عينى (نور) يؤكد أنه قد توصَّل إلى حلَّ اللُّغز ، وتحوَّل فجأة ناحية العلماء الثلاثة ، وقال بلهجة آمرة :

ــ لن يذهب أحد منكم إلى فراشه هذه الليلة أيها

السادة .. سنجتمع جميعًا فى غرفة مكتب الدكتور (شفيق) .. الآن ..

وعادت عيناه تبرقان ، وهو يستطرد بثقة وحزم :

ــ سأكشف لكم الآن لغز (قضية الخلود) هذه .

* * *



١٠ ــ المفاجأة المذهلة ..

توقفت سيارة (نور) الصاروخية التى يقودها (رمزى) ، أمام (مركز الأبحاث الخلوى) ، وقفز منها هذا الأخير بانفعال واضح ، وأسرع إلى داخل المركز ، دون أن يأبه بجمال الطبيعة الساحرة لضفاف النيل فى المنصورة ، وتحرّك بخطوات واسعة نحو الممر الذى يضم المعامل ، ووقع بصره على (سلوى) ، التى أسرعت نحوه وسألته بلهفة :

ــ حمدًا لله على سلامتك يا (رمزى) .. أخبرنى .. هل حصلت على نسخ سليمة من الكتب الثلاثة ؟

رفع يده التى تحمل الكتب الثلاثة أمام وجهها ، وسألها بانفعال :

ــ إن هذه الورقات الناقصة تحمل مفاجأة مذهلة يا (سلوى) .. أين (نور) ؟





ووقع بصره على (سلوى) التى أسرعت
نحوه وسألته بلهفة ..

أجابته بسرعة وهى تمدّ يدها نحو الكتب بلهفة :

ــ إنه مع العلماء الثلاثة فى غرفة مكتب الدكتور (شفيق) ، لقد حدث حادث مؤسف هذه الليلة .

لم يهتم (رمزى) بسؤالها عن طبيعة هذا الحادث ، وإنما قال وهو يتحرَّك بسرعة نحو غرفة مكتب الدكتور (شفيق) :

ــ دعينا نلحق به .. إننى أحمل فى يدى حلّ اللُّغز .

أوقفته (سلوى) ، وهى تقول بلهفة عجزت عن سترها :

ــ أخبرنى أولاً بالله عليك .. إننى أكاد أتمزق من شدة اللهفة والفضول .

أمسك (رمزى) بأحد الكتب ، وقال :

ــ لقد كانت الورقات الناقصة تحتوى على رسوم بالفعل .. رسوم وضعها بعض المعاصرين للشخصيات التى تتحدَّث عنها الكتب .. انظرى هذا الكتاب عن (يوليوس قيصر) ، وهذا هو الرسم المفقود من النسخ

التى يحتفظ بها الدكتور (يوسف) .. تأمّلى وجه هذا الرجل الذى يقف خلف (يوليوس قيصر) .

حدّقت (سلوى) فى الوجه بذهول ، وصاحت بانفعال شديد :

ــ ربّاه !! إننى لم أتوقّع ذلك مطلقا .. إنه وجه ذلك العالم الـ .... يا إلهى !! إنها مفاجأة مذهلة بالفعل .

* * *

اخترق صوت (نور) حجاب الصمت الذى خيّم على غرفة الدكتور (شفيق) ، عندما قال :

ــ دكتور (فريد) .. هل لى أن أتحدّث إليك قليلا ؟.. وحدنا ؟

حملت قسمات وجه الدكتور (فريد) كل معانى الدهشة والتساؤل ، ولكنه أومأ برأسه علامة الموافقة وهو ينتحى ركنا جانبيًا مع (نور) ، أمام نظرات

التساؤل فى عيون (جمال) و (عزمى) و (محمود) ..

ظلّ كل منهما صامتا يتأمّل الآخر ، حتى قال (نور) بهدوء :

ــ أنت تعلم جيّدا أنه كان يسعدنى مقابلتك فى ظروف تختلف عن هذه ، ولو أن الأمور لم تجر بهذا الشكل .

استمر الدكتور (فريد) فى صمته ، على حين استطرد (نور) بنفس الهدوء :

ــ كان يمكننى اعتبار ذلك حدثا تاريخيًا ، لو لم تسفر الأحداث عن مصرع عالمين جليلين من علماء مصر .

تراقصت ابتسامة هادئة على طرف شفتى الدكتور (فريد) فى البداية ، ثم شملت الابتسامة وجهه كله ، وهو يقول بعمق :

ــ هذا صحيح .

وبهدوء مدَّ (نور) أصابعه ، وتناول منظار الدكتور (فريد) السميك من فوق أنفه ، وهو يقول ببساطة عجيبة :

ــ إنك لا تحتاج إلى هذا الشىء .. أليس كذلك ؟

ضاقت عينا الدكتور (فريد) ، وهو يقول بهدوء :

ــ إننى لا أحتاج إليه بالفعل .. أنت عبقرى أيها الرائد .

وفى تلك اللحظة دخل (رمزى) و (سلوى) إلى الحجرة ، وصاح (رمزى) بانفعال :

ــ لن تصدِّق ما توصَّلت إليه أيها القائد .. أمر مذهل .

تحرَّك (نور) بهدوء نحو باب الغرفة ، وأغلقه بعناية ، ثم أوصد الرِّتاج الإليكترونى بهدوء شديد ، والتفت إلى (رمزى) قائلاً :

ــ هل تقصد صورة الدكتور (فريد) المرسومة فى الكتب الثلاثة يا عزيزى (رمزى) ؟

تدلَّت فك (رمزى) السفلى بذهول ، على حين صاحت (سلوى) بإعجاب :

ــ إذن فقد كنت تعلم يا (نور) .. كنت أعرف ذلك .

صاح الدكتور (جمال) بغضب :

ــ ماذا تعنى هذه المهزلة أيها الرائد ؟.. هل أحضرتنا إلى هنا لتسمعنا هذا الهراء المتبادل بينك وبين زملائك ، دون أن نفهم شيئًا ؟

صاح (رمزى) وهو يشير نحو الدكتور (فريد) :

ــ ستفهم كل شىء يا دكتور (جمال) .. يكفى أن تعلم الآن أن الرجل الذى يسمِّى نفسه بالدكتور (فريد) هو نفسه العالم القاتل الذى يجرى التجارب السِّرِّيَّة للسعى خلف الخلود ، أو بمعنى أدق استمرار الخلود ، فهو يعيش على سطح الأرض منذ عصر (يوليوس قيصر) .

ابتسم الدكتور (فريد) بهدوء ، دون أن يعلق على

عبارة (رمزى) ، أما الدكتور (جمال) والدكتور (عزمى) فقد نقلا بصريهما بين (رمزى) و (فريد) .
ثم هتف (عزمى) بسخط :

ـــ ما هذا الهراء ؟

تدخلت (سلوى) قائلة :

ـــ ليس هراءً يا دكتور (عزمى) .. إن الدكتور (فريد) فعلاً هو الرجل الخالد .. الرجل الذى عاش عبر الأجيال ، ويمارس تجاربه السرّيّة لإطالة عمره أكثر من ذلك .

تطلّع الدكتور (جمال) بذهول إلى الدكتور (فريد) ، الذى ظلّ هادئًا دون أن تفارقه ابتسامته ، وإن برقت عيناه ببريق مخيف ، على حين صاح الدكتور (عزمى) بدهشة :

ـــ أيّة تجارب سرّيّة هذه التى يمارسها ؟.. إننا نعمل معًا سبع عشرة ساعة يوميًا .. متى يجد الوقت الكافى لممارسة تجاربه إذن ؟

قال (نور) بهدوء :

ـــ فى الجزء الباقى من اليوم يا صديقى .

انطلقت من فم (عزمى) ضحكة ساخرة عالية ، على حين حدّق أفراد الفريق فى وجه (نور) بدهشة وقال (رمزى) متعجبًا :

ـــ هذه العبارة واضحة الخطأ أيها القائد ، ما من بشر يمكنه أن يعمل طوال الأربع والعشرين ساعة ، دونما تعب ودائمًا .. لا يوجد مخلوق على كوكب الأرض يمكنه ذلك .

استدار (نور) برأسه ينظر نحو (فريد) ، وعلى شفتيه ابتسامة هادئة ، ولقد ضاقت عينا هذا الأخير ، والتمعتا بقوة وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، ويقول بصوت هادئ بارد عميق :

ـــ ومن قال إننى من سكان كوكب الأرض ؟

* * *

١١ ـ قاتل من أطراف الكون ..

خيّم صمت على جوّ الغرفة لا يمكن وصفه بأقل من أنه رهيب ، فتدلّت الفكوك ، وجحظت العيون ذهولاً وهى تحدّق فى وجه (فريد) الذى تبدّلت ملامحه ، وتحوّل هدوءه المريح إلى نوع من البرود العميق ، الذى يبعث الرجفة فى الأوصال ..

عمّت الدهشة الجميع ، باستثناء (نور) الذى ظلّ صامتًا مبتسمًا ، وهو يتطلّع نحو (فريد) ، الذى قال بصوت خرج من حنجرته باردًا كالثلج ، وعميقًا كبئر ليس لها قرار :

ـ إن تلك الدهشة التى تفجّرت فى وجوههم ، لأكبر دليل على مدى عبقريتك أيها الرائد .. من الواضح أن جنسكم البشرى قد تقدّم كثيرًا خلال المائة عام الأخيرة .



قال (نور) بهدوء :

— من العجيب أن يصدر هذا القول ممن عاصر (ليوناردو دافنشى) ، أعظم العباقرة على مرّ العصور .

أجابه (فريد) بصوته البارد :

— لقد حظى (دافنشى) بالفعل بالكثير من الاهتمامات ، ولا يمكننى أن أنكر عبقريته فى مجالات شتى ، ولكن هذه العبقرية لا تقارن بما تميّز به الحكيم المصرى القديم (أمحتب) أيها الرائد .. فما زلت أذكر مناقشاتنا معًا فى ليالى مارس الدافئة .

صاح الدكتور (عزمى) بذهول :

— مناقشاتكما ؟.. هل تدّعى أنك قد عاصرت (أمحتب) يا دكتور (فريد) ؟

مطّ (فريد) شفتيه فيما يشبه الاحتقار ، وقال :

— لقد سئمت هذا الاسم (فريد) .. يا لها من سخافة !! كم اشتقت لاسمى الحقيقى .

ثم تحرّك بهدوء ورزانة ، وهو يقول :

— إننى أنتمى أيها السادة إلى كوكب بعيد ، يبعد عن أرضكم هذه بمقدار ثلاثة آلاف سنة ضوئية .. كوكب نطلق عليه اسم (زرانزكس) .. قد لا يبدو هذا الاسم أنيقًا فى لغتكم ، ولكن له وقعًا موسيقيًا فى أذنى ، وهذا الاسم يختلف طبعًا عن ذلك الذى يطلقه عليه علماء الفلك هنا ، وأنا واحد من أبناء أكثر بقاع هذا الكوكب تقدّمًا وحضارة .. ومنذ ما يقرب من مليون عام ، قرر علماؤنا بدء مشروع الفضاء ، الذى يتخطّى حدود مجموعتنا النجمية .

تمتم الدكتور (جمال) بذهول :

— مليون عام ؟!!؟

لم يبد على (فريد) الاهتمام بعبارة الدكتور (جمال) ، بل لم تبد على ملامحه أية انفعالات على الإطلاق ، وهو يواصل حديثه قائلًا :

— وبناء على هذا المشروع ، وصلت مع ثلاثة من زملائى إلى كوكبكم ، بعد فترة من السبات الصناعى ،

قدرها ثلاثة آلاف سنة ضوئية .. هبطت سفينتنا الفضائية على كوكبكم منذ تسعمائة ألف عام تقريبًا ، ولقد أذهلنا فى البداية سرعة تعاقب الليل والنهار على هذا الكوكب ، فكوكبنا يبلغ حجمه ألف ضعف لحجم كوكب الأرض ؛ ولهذا فاليوم الواحد من كوكبنا يستغرق ألف يوم من أيام أرضكم ، وهذا يعنى أننى لو قضيت ألف يوم على هذا الكوكب يكون عمرى قد زاد بمقدار يوم واحد من أيام كوكبى .

ظهر بعض الألم على ملامح (فريد) ، وهو يقول :

ــ وبسبب حادث مؤسف ، يرجع إلى حالة التخلّف التى كان عليها سكان الأرض القلائل فى ذلك الحين ، قضى رفاق الثلاثة نحبهم ، وتحطّمت سفينتنا الفضائية تمامًا ، ولم يكن أمامى سوى محاولة التعايش مع هذا الكوكب الذى يتميَّز بنفس نوع الغاز الذى نتنفسه فى كوكبنا .. لم يكن علىَّ سوى محاولة التكيُّف مع البشر حولى .

ساد الصمت لحظة ، ثم استطرد بهدوء :

ــ مرَّت قرون وقرون وأنا أحاول رفع المستوى الفكرى والعلمى للبشر ، وأداوم التنقُّل من مكان إلى آخر على الرغم منى ؛ فهذه هى ضريبة الخلود أيها البشر .. لا بد للإنسان من ألا يبقى فى مكان واحد لمدة طويلة ، وإلا لاحظ من حوله أنه لا يتقدم فى العمر بنفس سرعة تقدُّمهم فيه ، حتى أصابنى السأم ، وهنا ساعدتنى خلاياى المتطوِّرة على التَّحوْصُل فى كهف من كهوف صحراء (تيسلى) ، لمدة خمسمائة ألف عام .

تنهَّد بعمق ، ثم أردف بنفس البرود :

ــ وبدأ العالم أول خطواته نحو التطوُّر ، بعد أكثر من ثمانمائة ألف عام من وصولى إلى الكوكب .. بعد أن كدت أقتل نفسى من شدَّة الضجر .. ونظرًا لحالة التَّحوْصُل التى مررت بها ، وفارق العمر بين جنسينا ، كان من المفروض أننى طوال هذه المدة لم أتجاوز أعوامى الثلاثين .

ولوَّح بيده ، وهو يستطرد بما يشبه الغضب :

ــ لم يكن من مصلحتى لفت الأنظار إلىّ ، بمعلوماتى العلمية الفائقة بالنسبة لهذه العصور ، ولكننى كنت أتحرَق شوقا للتحدُث إلى رجل يحمل عقلية متطوِّرة ، وأجد لذَة فى صداقة مثل هؤلاء الرجال .

قال (نور) بهدوء :

ــ هذا صحيح .. لقد كنت صديقا صدوقا لمعظم مشاهير التاريخ .

برقت عينا (فريد) ببريق غير أرضى ، وهو يقول :

ــ كانت هذه هى متعتى الوحيدة ، وأنا أنتظر قدوم رفاق فى محاولة لإنقاذى .. لقد تمتعت بمصاحبة الحكيم (أمحتب) ، وعاونته فى وضع تصميماته الخاصة بالهرم الأكبر ، وربما تجدون بعض النقوش المصرية القديمة التى تتحدَث عن (نارفرو) المتواضع الباسم .. لقد بهرهم علمى الهادئ .. وقلَب التاريخ صفحاته وأنا أضع بصماتى فى كل صفحة منه .

رفع ذراعه اليمنى بعظمة ، وهو يقول ببرود أثار الرجفة فى أوصالهم :

ــ إننى أنا (فرناسكو) صديق (ليوناردو دافنشى) الحميم ، والذى أوحى إليه بمعظم تصميماته السابقة لعصره ، وأنا (ناسيوس) الحارس السرِّى الخاص (ليوليوس قيصر) ، و (نيغوليه) العقل المفكِّر لـ (نابليون بونابرت) ، والذى أشار عليه بالقيام بحملته الشهيرة لاحتلال مصر .. لقد كنت رفيقا لأعظم عظماء التاريخ ، ولكن شيئا ما كان يجذبنى دائما إلى مصر ، حيث هبطت سفينتنا لأول مرة .

كانت (سلوى) قد تغلَّبت على دهشتها وفزعها ، فقالت :

ــ ولكن أوراق التحاقك بالمركز سليمة تماما .

ارتسم ابتسامة ساخرة على شفتيه ، وهو يقول :

ــ هل تظنّين أنه من الصعب على من كان له مثل علمى المتقدِّم ، خداع أجهزة كمبيوتر متخلِّفة مثل هذه ؟

قال (نور) بابتسامة خبيثة :

— ولكنك لم تكن لتجرؤ على إعطائنا عيّنة من دمك ، أو بصمات أصابعك .

رفع (فريد) إبهامه فى وجه (نور) ، وقال بهدوء :

— ليست لأصابعى بصمات على الإطلاق كما ترى أيها الرائد ، ودمّى يختلف بالطبع عن دمكم ، سواء من حيث اللون أو التركيب الخلوى ..

زوَى (محمود) ما بين حاجبيه ، وسأل :

— ولكن كيف توصّل الدكتور (يوسف) إلى كشف سرّك ؟

تنهّد (نور) ، وقال :

— يمكننى أن أوضّح هذه النقطة يا عزيزى (محمود) .

ثم التفت إلى (فريد) ، وهو يستطرد قائلاً:

— من سوء حظ (فريد) — أو أيًّا كان اسمه — أن هواية الدكتور (يوسف) المفضّلة كانت قراءة كتب

التاريخ ، ودراسة الشخصيات التاريخية الشهيرة بالذات ، ومن هنا كانت البداية .. فقد أدهشه وجود وجه الدكتور (فريد) فى معظم الرسوم الشهيرة فى العصور المختلفة ، وبفضل فضوله العلمى أخذ يراقب (فريد) سرًّا ، وهاله ما أسفرت عنه المراقبة ، فقد اكتشف أن الرجل لا ينام تقريبًا .. ولمّا كانت هذه الحقيقة غير متوافقة مع طبائع الجسد البشرى ، فقد بدأ يبذل المساعى لمعرفة طبيعة التجارب السرّيّة ، التى يجريها (فريد) بعد موعد العمل ، وتوصّل بوسيلة ما إلى سرقة بعض الشرائح التى صنعها (فريد) للخلايا العجيبة ، ولا ريب أن هذا الأخير قد كشف ذلك ، وعرف أن أمره قد كُشف ، فلم يكن أمامه سوى التخلّص من الدكتور (يوسف) .

ابتسم (فريد) ابتسامة هادئة ، وقال :

— من دراستى لكم أيها البشر طوال ما يقرب من مليون عام ، يمكننى أن أؤكد أنك تتمتّع بعقلية فريدة

أيها الرائد .. ولكن دعنى أسألك : كيف توصّلت أنت إلى ذلك ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ــ لقد كان الأمر برمّته يبدو لى عجيبا منذ البداية ، وكانت هناك نقطة أو أكثر تثير حيرتى ، فظاهر الأمر يقول : إنه هناك أحد العلماء يجرى تجارب سرّيّة سعيا وراء تحقيق الخلود ، وهو أمر غير منطقى أو غير طبيعى ، طبقا للتوازن الطبيعى المألوف ، وكان الدليل الوحيد أمامنا هو شريحة ميكروسكوبية تحتوى على خليّة ، أجمع علماء المركز ــ وهم صفوة علماء علم الخلايا الحيّة فى العالم ــ على استحالة استحداثها بوسائل صناعية ، مهما استخدمنا من تفوّق تكنولوجى . ثم تبرز فجأة نقطة مذهلة ، وهى أن أحد علماء المركز قد عاصر أجيالاً بعيدة من البشر .. باختصار كان هناك عنصر غير بشرى فى الموضوع .. عنصر لا يمكن أن ينطبق على كل القواعد المألوفة على كوكب الأرض .

صمت (نور) لحظة ، ليرى تأثير كلماته على الحاضرين ، ثم استطرد :

ــ وهنا سألت نفسى : ما دامت الأمور تسير على منطق مخالف للقواعد الأرضية ، فلم لا نتصوّر أن هذه الخليّة لم يتم تخليقها صناعيًا ، وإنما هى خليّة تم الحصول عليها من كائن غير معروف على وجه الأرض ؟.. وفجّرت عبارة نطقت بها (سلوى) شكوكى واستنتاجاتى ، التى بدت وهلة غير معقولة .. كان ذلك عندما تحدّثت زوجتى عن النجوم التى كنا نتأمّلها .. سألت نفسى فى هذه اللحظة ، لم لا يكون العالمُ الذى نسعى خلفه مخلوق من كوكب آخر لا تنطبق عليه القواعد الثابتة لمخلوقات كوكب الأرض .

هزّ (نور) كتفيه ، وتابع بهدوء :

ــ وما أن وضعت هذا الافتراض المذهل ، حتى وجدت الأمور كلها تتضح فجأة ، وأنا كلاسيكى جدًا فى الأسلوب الذى أتبعه فى استنتاج حلول الألغاز التى

تواجهنى .. فما أن أجد افتراضًا ، أيًا كان يبدو خياليًا ولكنه يفسر كل نقاط الغموض فى اللغز الذى يواجهنى ، حتى أقتنع به تمامًا ، وعلى ضوء الافتراض الجديد فهمت كل شىء ..

وواجه (فريد) بابتسامة هادئة ، متابعًا :

— لم يعد أمامى عند هذه النقطة سوى البحث عمن منكم يفترض ألا يكون من كوكب الأرض .. ولحل هذه النقطة عدت إلى طبيعة الخليَّة التى أرسلها لنا الدكتور (يوسف) .. كانت الخليَّة تؤكد أن صاحبها كائن حىّ ، يمتلك بعض الصفات النباتية بالإضافة إلى وجود جهاز عصبىّ ، وهذا ما تفتقده النباتات عادة ، وبدأت فى ترتيب الأحداث ، واستعادة كل كلمة سمعتها منكم ، وببساطة لم أجد أمامى سواك .. كنت أنت أهدأ الجميع فى التعامل معنا ، ولو أن الشخص المطلوب هو (جمال) أو (عزمى) ما قام بخطوة هادئة مثل تلك التى فعلتها عندما سجنتنا فى الغرفة ، وسرَّبت

إلينا الغاز الثقيل .. فلو انك شخص عصبىّ مثلهما ، للجأت إلى قتلنا بلا رحمة ، ولكنك لم تحاول قتلنا بقدر ما حاولت دراسة ردود أفعالنا إزاء هذا الموقف .. كنت تعاملنا كحيوانات التجارب ، وهذا تصرُّف طبيعى من مخلوق خارج كوكبنا .

ابتسم (فريد) بهدوء قاتل ، وقال :

— رائع أيها الرائد .

قاطعه (نور) وهو يقول :

— إننى لم أكمل حديثى بعد ، فهناك أكثر من نقطة قادتنى إليك .. منها مثلاً أنك أنت صاحب اقتراح إجراء التجارب المشتركة مع الدكتور (عزمى) ، وهى نقطة ذكية ، فسيكون لديك دليل على وجودك مع شخص آخر طوال سبع عشرة ساعة ، ولقد أخطأت عندما حاولت تأكيد هذا الأمر لنا ، ففى ذلك الحين لم أجد مبرّرًا لأن تذكر لنا عدد ساعات عملكما معًا ، ولكننى فهمت فيما بعد أنك كنت تحاول إقناعنا بأنه

من المستحيل أن تجرى تجارب أخرى فى الثمانى ساعات الباقية من اليوم .. ثم إن طبيعتك النباتية أوقعت بك أيضا ، فمن غير شخص يجمع صفتى الحيوان والنبات ، يحتاج إلى حمام بارد عدة مرات يوميًا وباستمرار ؟

اربدّ وجه الدكتور (عزمى) ، وهو يقول بحنق :

ـ إذن فقد كنت تخدعنى بتجاربنا المشتركة ، خلال خمس سنوات أيها الوغد .

وقبل أن يحاول أحدهم منعه ، وجّه (عزمى) لكمة قوية إلى فكّ (فريد) ، ولكن يد هذا الأخير ارتفعت بسرعة مذهلة ، ليتلقّى اللكمة فى راحته بهدوء شديد ، وبلا مجهود تقريبًا ، وفوجئ الجميع بالدكتور (عزمى) يتأوّه بقوة ، وهو يمسك قبضته صائحًا :

ـ يا إلهى !! لقد تحطّمت قبضتى .. إن هذا الرجل مصنوع من الصخر .

قال (فريد) ببرود شديد :

ـ خطأ أيها الأرضى .. إنه ذلك الغلاف

السليولوزى القوى ، الذى يحيط كل خليّة من خلايا جسدى .. إنه غلاف قوى لا تخترقه حتى أنواع الأشعة المعروفة فى كوكبكم ، ولقد أصيب الدكتور (يوسف) بالذهول ، عندما شاهد جسدى خلف لوح أشعة (رونتجن) .. كان يبدو جسدًا مصمتًا ، لا تخترقه تلك الأشعة الضعيفة ، بعكس أجسادكم الهشّة أيها الآدميون .. وبحكم الجزء النباتى من تكوينى يمكننى أن أفرز نوعًا مجهولاً من السموم ، كما تفعل بعض نباتات كوكبكم للدفاع عن نفسها ، وهذه السموم قادرة على إحداث ما يشبه السكتة القلبية كما تسمُّونها .

ثم عقد ذراعيه خلف ظهره وهو يواجههم بوجهه الجامد ، وبصوته الثلجى العميق قائلاً :

ـ معذرة أيها السادة ، ولكنكم لم تدعوا لى مجالاً للاختيار .. سأضطر إلى قتلكم جميعًا .

تراجع (جمال) و (عزمى) بذعر ، وشهقت (سلوى) رعبًا ، وهى تتعلّق بذراع (نور) ، على حين صاح (محمود) :

ـ أطلق عليه مسدسك الليزرى أيها القائد ..

وقطَّب (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ إنه ليس قتلاً يا (نور).. إنه دفاع عن النفس.

هزَّ (نور) كتفيه بهدوء وبلا مبالاة ، وأخرج مسدسه الليزرى وهو يقول :

ـ لن يفيد ذلك يا رفاق .. للأسف .

ثم أطلق دفقة من أشعة مسدسه بهدوء نحو (فريد) ، الذى لم تفارقه ابتسامته وهو يواجه (نور) بلا مبالاة .. وما أن ارتطمت الأشعة بجسده حتى مزقت معطفه ، ولكنَّها انعكست عن جسده بحدَّة أمام عيون الجميع المذهولة ، فألقى (نور) بمسدسه على مقعد قريب ، وقال ببساطة :

ـ إن غلافه السليولوزى أقوى مما تتصوَّرون .

ابتسم (فريد) بهدوء ، وقال :

ـ أنت محقٌّ أيها الرائد .. ليس هناك أمل فى خروجكم من هنا أحياء .

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، ونطق بعبارة هادئة أدهشت الجميع ، وظنَّها معظمهم حماقة ، أو نوعًا من الانهيار العصبىِّ ، عندما قال :

ـ حسنًا يا (فريد) ، أو أيًّا كان اسمك .. إننى أدعوك إلى الاستسلام التام بلا قيد أو شرط ، وإلا فستنتهى رحلتك الطويلة .

حدَّق الجميع فى (نور) بدهشة ، على حين ابتسم (فريد) بسخرية ، وقال :

ـ هكذا ؟.. هل أصابك الجنون فى النهاية أيها الرائد ؟

ابتسم (نور) بهدوء ، وأشار إلى باب الغرفة قائلاً :

ـ هل نسيت أننى أنا الذى أغلقت باب الغرفة ؟

ثم واجهه بجرأة عجيبة ، وهو يقول بصرامة وحزم أدهشا الجميع :

ـ يبدو أنك فهمت ما أعنيه يا زائر الفضاء ..

والآن أنا أعرض عليك الاستسلام ، وإلاَّ فلن تغادر هذه الغرفة حيًّا ، حتى لو قضيت علينا جميعًا .

* * *

١٢ ـ مواجهة بين الكواكب ..

كان الانفعال الذى بدا على وجه (فريد) ، أكبر دليل على صحة وقوة عبارة (نور) ؛ إذ تبخر الجمود الذى يغلف ملامحه ، وظهر بدلاً منه مزيج من التردُّد والقلق ، فلم يملك (عزمى) نفسه بأن صاح :

ـ ما معنى ذلك أيها الرائد ؟

قال (نور) بهدوء،دون أن يرفع عينيه عن (فريد):

ـ إن رتاج الباب فى هذا المكتب بالذات ، مزوَّد بنظام أمن يسمح بوضع كود إليكترونى خاص ، لا يفتح الباب بدونه ، ولقد وضعت كودا سريًّا ليس من السهل أن يتوصَّل إليه صديقنا ضيف النجوم هذا مهما بلغت عبقريته ، قبل أربع وعشرين ساعة على الأقل .

قالت (سلوى) بحيرة :

ـ لست أرى الأمر خطيرًا إلى هذه الدرجة !

ابتسم (نور) وقال بهدوء :

ـ هذا ينطبق على مخلوقات كوكب الأرض يا عزيزتى ، أما بالنسبة لمخلوق نصف نباتى مثل صديقنا (فريد) ، فلو أنه قضى هذه الفترة بدون ماء ، سيحدث له مثل ما يحدث لمعظم النباتات .

وخرج صوته من بين شفتيه ساخرًا ، وهو يقول :

ـ سيذبل ..

ساد الصمت فى الغرفة ، وكأن الجميع يحاولون استيعاب تلك المعلومة العجيبة ، حتى قال (فريد) بصوت متحشرج متخاذل :

ـ لم فعلت ذلك ؟

هزّ (نور) كتفيه ببساطة ، وقال :

ـ لم يكن بإمكانى معرفة قدراتك الجسديّة بالضبط ، فأنت مخلوق لا تنطبق عليه القواعد الأرضية ؛ ولذلك كان من الضرورى أن أؤمّن وسيلة للقبض عليك .

أطْرق (فريد) برأسه فترة ، ثم قال :

ـ وماذا تطلب بالضبط ؟

قال (نور) ببساطة :

ـ الاستسلام يا صديقى .. والخضوع لعلمائنا وهم يفحصونك .

ثم ابتسم وهو يتابع :

ـ لقد سبق أن أخبرتك أنه كان سيسعدنى مقابلتك فى ظروف أخرى ، فهذه هى المرة الأولى التى يتم فيها لقاء مباشر بين مخلوقين عاقلين من كوكبين مختلفين فى الكون ، وهذا شىء عظيم بالفعل ، ولكنك لم تلجأ إلى الأسلوب السليم ، وإنما اتخذت طريقًا أكرهه تمامًا وهو القتل والتدمير ، وأنا أجده مطلبًا عادلا فى الواقع ، فلقد سمحنا لك بدراستنا مليون عام ، ولست أطلب سوى فحصك بضعة أيام فقط .

تناول (فريد) مسدس (نور) الليزرى من فوق المقعد ، وقال :

ـــ ألم يخطر ببالك أننى قد أفضل الموت ، على التحوُّل إلى حيوان تجارب ؟

قال (نور) ببرود :

ـــ مطلقا .. وعلى العكس ، لقد خطر ببالى مدى العذاب الذى ستلاقيه من قلة المياه .. إنك ستذبل وتذوى بالتدريج ، وإنها لوسيلة مرعبة للموت .

نظر (فريد) إلى المسدس ، وقال :

ـــ ربما لجأت إلى نفس الأسلوب الذى غادرت به الحجرة .. أقصد اختراق الحائط حول الزُّجاج .

ابتسم (نور) بسخرية ، وقال :

ـــ لم تعد بالمسدس طاقة كافية لإحداث ذلك يا صديقى ، فلقد استنفدت معظم طاقته فى إنقاذ حياتنا ، ولم يبق به سوى طلقة أو اثنتين .

عاد (فريد) ينظر إلى المسدس ، ثم قال بشرود :

ـــ طلقة أو اثنتان !. إنهما كافيتان أيها الرائد .

ثم رفع رأسه نحو (نور) ، وقال :

ـــ هل تعلم ما هو الجزء الوحيد غير المغلّف بغشاء سليولوزى فى جسدى أيها الرائد .. إنها عيناى .. وهناك وسائل أكثر أمنًا للموت .

لم يفهم أحد من الحاضرين معنى عبارة (فريد) باستثناء (نور) ، الذى قفز نحوه بحركة حادة ، محاولاً انتزاع المسدس من يده ، ولكن (فريد) رفعه نحو رأسه بسرعة مذهلة ، وأطلق دفقة من أشعته نحو عينه مباشرة ، وسمع الجميع صوتًا يشبه صوت سكين يخترق أحد الأسماك الحرشوفية ، سقط بعده (فريد) كقطعة من الحجر .

تمتم (نور) بألم :

ـــ يا إلهى !! كان ينبغى أن أتوقَّع ذلك !

وأغلقت (سلوى) عينيها بمزيج من الألم والاشمئزاز ، على حين حدَق الباقون بذهول فى ذلك السائل الأخضر المائل إلى الصفرة ، الذى تدفَق بغزارة من الفجوة التى أحدثتها طلقة الليزر فى مكان عين

(فريد) ، وارتعدت أجسادهم رعبًا واشمئزازًا ، عندما أخذ جسده ينكمش بشكل عجيب ، وبسرعة مذهلة ، وهو يرتعد كالفرخ الذبيح ، ثم توقفت تلك الارتجافات عندما أصبح جسده فى حجم طفل صغير ، وتوقف تدفق السائل العجيب ...

ظلّ الصمت هو العنصر الغالب فى الغرفة يشاركه الذهول والرُّعب بنسب متفاوتة ، حتى أن صوت (نور) بدا عجيبًا ، وهو يقول بألم ومرارة :

ــ الآن فقط تبدأ رحلتك نحو الخلود أيها البائس .. خلود الموت الأبدى .

* * *

١٣ ــ الختام ..

احتضنت (سلوى) طفلتها الصغيرة بحرارة ، وقبلتها بشغف وهى تقول :

ــ كم أوحشتنى يا صغيرتى !!

ربّت (نور) على كتف زوجته بحنان ، وابتسم (محمود) ، و (رمزى) ، وقال هذا الأخير :

ــ لا أظن أنه توجد عاطفة أقوى من الأمومة أيها القائد .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وقال :

ــ هذا صحيح يا (رمزى) .. إنها أقوى عاطفة فى الوجود .

ابتسم (محمود) ، وقال :

ــ تُرى .. هل ينطبق ذلك على الكواكب الأخرى أيضًا ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ــ من يدرى يا (محمود) ؟

وضعت (سلوى) طفلتها فى مهدها ، وقالت :

ــ تصوّروا أن هذه المهمة قد انتهت ، دون أن نعلم طبيعة الأبحاث التى كان يجريها (فريد) على خلايا جسده العجيبة .

وافقها الجميع بهز رءوسهم ، وقال (نور) :

ــ لم يعد أمامنا سوى التخمين يا عزيزتى ، فمن المستحيل أن نعلم مدى التقدُّم العلمى الذى وصل إليه كوكبه .

استرخى (رمزى) فى مقعده ، وقال :

ــ لقد حاولت تقليب كل الاحتمالات فى ذهنى ، ولكننى لم أتوصَّل إلى ما كان يسعى إليه ، فهو حاصل على خلود نسبى بالفعل ، لو قسنا عمره بمتوسط أكبر الكائنات الأرضية عمرًا .

صمت (نور) ليستمع إلى (رمزى) ، ثم قال :

ــ لدى نظرية قد تبدو معقولة يا (رمزى) .

ثم اعتدل وتابع باهتمام :

ــ فى رأيى أنه كان يحاول إيجاد وسيلة للقضاء على نقطة ضعفه ، وهى احتياجه المستمر والدائم لكميات كبيرة من الماء .. لقد كان يسعى نحو الكمال لا الخلود .

قال (محمود) بتساؤل :

ــ ولكن لماذا لم يصل رفاقه طوال تسعمائة ألف عام ، ما دامت رحلتهم فى المرة الأولى قد استغرقت مائة ألف عام فقط ؟

ابتسم (نور) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ــ وما أدراك أن ذلك لم يحدث ؟ وأن هناك مئات من الخالدين فى أنحاء متفرِّقة من العالم يقومون بدراستنا بصمت وسريّة ؟

صمت الجميع عند سماعهم عبارة (نور) ، التى أثارت نوعا غامضا من الخوف فى نفوسهم ، حتى قالت (سلوى) :

ــ أخبرنى يا (نور) .. لو عرضت أمامك فرصة مضمونة للخلود .. أفكنت تقبلها ؟

صمت (نور) لحظة مفكرًا ، ثم قال :

ــ لا .. الخلود الحقيقى هو خلود العمل يا عزيزتى ، ولا تنسى أن العظماء الذين خالطهم (فريد) ، قد نالوا من الخلود أضعاف ما ناله .. إننا حتى لا نعلم اسمه الحقيقى .

ثم عاد إلى صمته لحظة ، قبل أن يستطرد برزانة :

ــ فى الواقع يا رفاق إننى أفضل عمرًا قصيرًا فى محاربة الشرّ والجريمة والدمار ، بدلاً من خلود يحوّلنى إلى قاتل ، تنتقل جرائمه عبر الكون .. عمر يمكننى خلاله أن أضيف حجرًا واحدًا لصالح دينى ووطنى .

كانت ملامحه جادّة تمامًا وهو يقول بشرود :

ــ هذا هو الخلود الحقيقى يا رفاق .

(تمت بحمد الله)

القصة القادمة (١٨)

(ظـلال الفـزع)

رقم الإيداع ٣٢١٥